

النبا اليقين عن العلويين للشيخ محمود الصالح

توطئة و تمهيد

لم تكن في العلويين كتابة خاصة تفيد الفائدة المرجوة عن تاريخهم و الأدوار التي مرت بهم، و إذا وجد عنهم بعض الننف المبعثرة فقلما تكون الحقيقة ذاتها، لأن التحامل السياسي كان يطبع صور الحوادث بطابع خاص منطبق ضرورة على نزعات الساسة و أهوائهم، مما جعل التاريخ يعمي الحقيقة أو يغمض فيها.

و المتأمل المنصف يرى بثاقب بصره و نفاذ بصيرته ما ذاق العلويون في ماضيهم الرهيب من ألوان العسف و ضرابه، و يعاين ما عانوه في مراحل حياتهم الغابرة من مظالم سلبتهم حق مركزهم في الهيئة الاجتماعية، و لكنها ما استطاعت و لن تستطيع أن تسلبهم تراثهم الخالد.

(عروبتهم ودينهم)

فالعلويون عرب لا شك في عروبتهم من رزق حسن الانتفاع بالاطلاع على مضامين السير و التاريخ، و استفاد من معرفة ما تحققه أقوالهم و أفعالهم من جميل الصفات في العرب الأكرمين، إذ تبين- و لا ريب- من متابعة مجريات أوضاعهم و أحوالهم أنهم رغم ما نزل بهم من كوارث و ألم بهم من مظالم كانوا و ما زالوا يحتفظون بكل ما تصدق عليه مفاهيم العروبة الإسلامية من أخلاق و خلائق، و عادات و تقاليد، و حسبهم بينة على أصالة دمهم العربي أنسابهم المنتهية بالتتوخي، و الغساني، و الكندي، و الطائي، و التغلبي، و غيره، و كفى بها شاهداً عدلاً لثبوت عروبتهم و دحض أكاذيب المرجفين المغرضين.

هاجر العلويون إلى هذه البلاد من مختلف أنحاء الجزيرة العربية مع من هاجر إليها من العرب قبل الإسلام و بعده فرادى و جماعات، انتجاعاً للكأ و الماء، و لجوءاً إلى هذه المعازل الحصينة من جور الطغمة الحاكمين غير العرب، فكانت هجرتهم سياسية و اقتصادية و على أكثر من دفعة واحدة، ذكر الأستاذ(منير الشريف) في كتابه(العلويون من هم و أين هم) فقال:

{لم تكن هجرة العرب الذين سموا بالعلويين مؤخراً إلى جبالهم على مرة واحدة، بل على عدة مرات جماعات و أفراداً، وهجرتهم جماعات كانت على ست مرات على ما أعتقد، الهجرة الأولى، قبل المسيح و محمد(ص) و بين عهديهما، و الثانية، بعد محمد في عهد الفتح العربي الإسلامي، أي في سنة(١٣هـ) و (٦٣٦م) و ما بعدها، و الثالثة، في القرن الخامس للهجرة بعد ظهور مذهب النصيرية و البلاء الذي صُب على الذين اعتنقوه و ذلك من قبل الحكام المسلمين غير العرب، و الرابعة، في أوائل القرن السابع للهجرة في زمن الأمير(حسن بن مكزون)، و الخامسة، في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة بعد الحملة الكسروانية سنة(١٣٠٥م)، و الهجرة السادسة، كانت عند اجتياح(ياوز سلطان سليم التركي) للبلاد، سنة(٩٢٣هـ) و (١٥١٦م)، و بين هذه الهجرات العامة كانوا يهاجرون أفراداً إلى الجبل طلباً للرزق أو هرباً من الضغط و العذاب للاحتماء بأبناء طائفتهم هناك{انتهى.

و لقد فصلّ العلامة المطران(دبس) في كتابه(الجامع المفصل) و أوضح المؤرخ(عيسى اسكندر المعلوف) في كتابه(دواني القطوف) ما حدث لعلويي لبنان في حوادث سنة(١٣٠٥م) و هجرة بعضهم إلى جبال اللاذقية و إنطاكية، احتماء باخوانهم فيها من عوادي رجال(محمد بن قلاون من سلاطين المماليك البحرية) و قد أمرهم بإبادة الطوائف الشيعية في جبال

(كسروان) من لبنان، إذ كانوا أصحاب البلاد آنئذ.

استوطن العلويون هذه البلاد قديماً و اتخذوا الإسلام الحنيف ديناً، و ولاء آل البيت الطاهرين مذهباً، و لوجود فجوة من جفاء بين المسلمين العرب بسبب الفارق المذهبي السني و الشيعي، وجد اللامسلمون و دخلاء الإسلام من الشعوبيين مغمزاً لبث مفاستهم في جسم الوحدة الإسلامية، فعملوا على إيجاد ثغرة أبعد مدى و أقرب هلكة، ينفذون منها إلى نيل غاياتهم و يبسطون بها سلطانهم،فسلك بعض الدخلاء مذهب التشيع، و انتحى بعضهم مذهب التسنن، مظهراً كل منهم تمسكه بمذهبه الذي انتحله و تعلقه الشديد به، و كلهم معاول هدامة في بناء وحدة الأمة، و عن هذه الطريقة تمكن أولئك الانتهازيون من نفث سموم التفرقة و زرع بذور الشقاق، فانهاهال بعض المسلمين على بعض بأقسى قوارص التهم التي لا تزال بقاياها مستحكمة في عقول الجهلة، و مصنعة في نفوس المرتزقة و المغرضين، و كم بين هؤلاء و أولئك من يظن بالعلويين و يحوك لهم من نسيج الأباطيل ما تضيق به نفوسهم و أحسامهم، فيخرج بهم عن رقبة الإسلام معتمداً على قلة وجود الجوامع في أوساط قراهم، و هو يجهل أو يتجاهل الأسباب التي حدثت بهم إلى التقاعس عن القيام بواجبهم الديني و إعلان شعائرهم الإسلامية على الوجه الأكمل، و لكن المتحرر من آثار التعصب الأثيم الواقف على سير أوضاعهم المؤلمة يعلم يقيناً مبلغ تمسكهم بأحكام الدين الحنيف و أخذهم بتعاليم الشريعة الغراء، و يشهد على ضوء الحقيقة بإسلامهم و إيمانهم، إذ أي المنصفين تتبع الحوادث التاريخية و وقف على التشريد المرير الذي أعقبه فيهم مجازر السلطان(سليم العثماني) الرهيبة و لا يدرك الحقيقة الراهنة التي حالت بينهم

و بين بنائهم الجوامع و قيامهم بالشعائر العلنية، تلك الفظائع المنكرة التي يندى لها جبين الإنسانية خجلاً و حياءً، و التي درج عليها ولاة الأمر بعده و كفل إحياءها في النفوس ساسة تلك العصور المظلمة الذين فتحوا أذانهم لاستماع أكاذيب الدساسين، من لا هم لهم إلا إذكاء الفتنة في صدور الأمة فقصفوا بأبعاد العلويين عن حظيرة المجتمع، و ألزموهم نكران ذواتهم بما ألحقوه بهم من عواد و مقتريات، حتى أن أحدهم كان لا يستطيع الظهور على مسرح الحياة معلناً تشيعه، و لا ذنب لهم إلا صدق ولائهم لأنتمهم الطاهرين(ع) و إلا أصالة دمهم العربي أراد أولئك الشعوبيين تقديمه قرباناً على مذبح العنصرية إرضاء لعواطفهم الحقيمة، و لم يكن العلويون وهدم غاية أولئك الجائرين بل العنصر العربي كله، و لكن العلويين أسوا كبش المحرقة، فقد أرغموهم بما ألحقوه بهم على كتمان ولائهم و سمو ذلك باطنية إسكاتاً لإخوانهم العرب عامة على التنكيل بهم، و اتخذوا من صدق حبهم و محض ولائهم لأنتمهم المعصومين حافظاً لإخوانهم اللاشيعيين خاصة على النيل منهم، و ما نعموا منهم إلا أن آمنوا بعروبتهم و حق آل بيت نبيهم، و تمسكوا بحبل ولائهم.

ذلك الولاء الذي أسرف أعداؤه إلحاق الأذى بالأبرياء من أنصاره، و أفرط أهل البدع بالدس على الخلاء من تابعيه، و بديهي أن يكون العلويون و هم من أوليائه المخلصين بعض ضحايا أولئك المعتدين المفترين، الذين تفننوا بأساليب الكيد لهم و الانتقام منهم، فلفقوا عليهم التهم و اختلفوا عليهم الأكاذيب، و اتخذوا من باطل ما نخروه عليهم ذريعة للإيقاع بهم، و لم تكن تلك الدسائس المحوكة و المكائد المدبرة التي أحكم قتل حبالها المغرضون، إلا خطة مرسومة غايتها تجريح العلويين في معتقداتهم ليستحيل عند الاعتداء عليهم وجود من يرحمهم في الأمة أو يرثي لهم.

و غير خفي أن الطعن في معتقد الفئة المناوئة لأصحاب السلطان كان في تلك العصور من الأساليب السياسية المبررة لأعمالهم الوحشية فيها و سوء معاملتهم إياها.

و هكذا فقد دس في أوساط العلويين تنفيذاً لخطة الطعن و التجريح مرجفون من غواة الفرق البائدة التي من الظلم نسبتها إلى الشيعة، ممن يسمونهم غلاة الشيعة، الذين آن لرقعة الأرض أن تتخلص منهم فلا أحسب أن فيها اليوم منهم أحداً، و لم يأن للشيعة و خاصة(العلويين) أن يتخلصوا من وباء ادعائهم و فساد آرائهم، و أن يخلصوا من أرجاف منافقيهم الذين تسنى لهم تخلل صفوف العلويين و الامتزاج بهم، خلال ما مروا به من مراحل شاقة و تجارب قاسية، و ساعد أولئك المرجفين تقهقر العلويين في ميدان الثقافة و الاجتماع على إتمام فكرتهم الخبيثة و القيام بدعوتهم السيئة كما أرادها لهم أئمة الجور و قادة الفتن. و ما أصدق ما علله عن واقع الشيعة الراهن فضيلة الشيخ(محمد جواد مغنية) رئيس المحكمة الشرعية الجعفرية في بيروت في كتابه(علي و القرآن) حيث يقول:

{وغريبة الغرائب أن كل شيء في الدنيا قد تغير إلا الكذب على الشيعة و الافتراء على مذهب التشيع، منذ زمن مضى و انقضى كتب شيخ سوء أو فقيه شر، أن الشيعة بما فيهم الإمامية يغالون بعلي، أنهم أخذوا دينهم عن ابن سبأ اليهودي، رمى هذا المفتري رميته و مضى، و لكن بعد أن شق طريق الضلال و التضليل، و إليك ملخص القصة لهذا الافتراء و السبب الباعث عليه، كان الشيعة يثورون على حكام الجور إخلاصاً لدينهم و أمتهم، و كان هؤلاء ينعتونهم بالزندقية و المروق من الدين، لأنهم لا يدينون لهم بالولاء تماماً، كما يتهم بعض حكام هذا العصر القوي التحررية بالشغب و التخريب، و إذا وجدت السلطات المعتدية في عصر النور صحفاً مأجورة تساندها و تنعت الحزب المعارض بأقبح النعوت تزلفاً و طمعاً، فبالأحرى أن تجد في عصر الظلمات من يضع لها الكتب و المؤلفات في تكفير الشيعة، هكذا فعلوا تماماً كما يفعلون اليوم.

لقد اشترى السفاكون من أرباب الأقلام دينهم و ضمائرهم ليقولوا على الأبرياء الأقاويل، و يعلم كل من البائع و المشتري أنه مفتر كذاب، و جاء المتأخر فرأى الكلمة المطبوعة (للسلف الصالح) فقدسها و ركع لها و سجد دون تمحيص و تحقيق، و أخذ يرددتها فكرة و أسلوباً بل نقلها بالحرف الواحد كأنها وحي منزل.

إن العالم المنصف إذا تكلم عما تدين به طائفة من الطوائف اعتمد على الكتب المعتمدة عندها، و ما ثبت من مذهبها، أما النقل عن خصومها، و بخاصة خصومة العقيدة و المذهب فهو تماماً كالحكم على المدعى بمجرد إقامة الدعوى و قبل الاستماع إلى الشهود و البيئات {انتهى.

و من المسلم به أن الحكم على المعتقدات صحة أو فساداً من أقوال غير أصحابها ظلم صريح لا تقبله العقول السليمة و لا ترضاه النفوس الحرة، و من تدبر بحكمته حكم أولئك الجائرين على معتقد العلويين تبينه من هذا الباب لبنائه على تقول غيرهم فيهم لا على ما قالوه في أنفسهم، فإن الذين يكتبون عنهم يأخذون في الغالب ما يكتبون عنهم لا صلة لهم بمعرفة مذهبهم و أحوالهم كالشهرستاني، و ابن تيمية، و ابن حزم، و أمثالهم، و من زعم من كتاب العصر أنه أسدى إليهم معروفاً فتوسع بمعرفتهم و بالبحث و التنقيب عنهم رجع إلى كتب الغربيين و كتبة الأجانب، كالكاتبين الفرنسيين، الكاتبين (بييرمي) في كتابه (العلويون) و الكولونيل (بول جاكو) في كتابه (دولة العلويين) و غيرهما من المستشرقين رجال الدس و الفساد.

و هل في المستشرقين من يكتب عن المسلمين إلا و يرمي إلى أحد غرضين أو إليهما معاً، أحدهما ديني، و غايته إقامة الشبهات حول معتقدات بعض الفرق الإسلامية حملاً للبعض الآخر على كراحتهم و الإساءة إليهم، و إضعافاً للملكات العقائدية فيهم، ليتسنى للمبشرين الوصول إلى

عقول بسطاء الأمة و سذاجها، و ثانيهما استعماري، و غايته بعث الضعف و الوهن في نفوس العرب و المسلمين و بث روح التجزئة و الانقسام فيهم، تصديعاً لكيان بناء وحدتهم، و تبديداً لشملة كلمتهم، ليتمكن الاستعمار من التغلغل في صفوفهم و الشيوع في أقطارهم و بسط نفوذه عليهم و تحكمه بمراقب بلادهم، و على كلا الحالين و بقدر اتساع شقة الخلاف في العرب و المسلمين ينفسح المجال أمام المستعمرين و المبشرين.

و كم في علماء المسلمين و كتابهم من يغفل أو يتغافل عن رؤية هذه الحقيقة الصارخة بسوء غاية أولئك المستشرقين، فيعتبر ما يقرأ في كتبهم و مقالاتهم عن العلويين حقاً مبيناً لا معدى عنه و لا محيد، و يتخذة حجة قاطعة ترغمهم على الاعتراف بصحة ذلك القول الزور و الإقرار بوجود ما ليس بموجود، و لا يخطر على بال أحد أولئك الكتبة و الباحثين الرجوع إلى أقوال علماء العلويين و كتابهم، و العدالة الإنسانية تأبى إلا الأخذ بقاعدة(المرء مأخوذ بإقراره)، و ها هم رجال الدين في العلويين- و ما أكثرهم - كتاباً و شعراء فهل يشهد على أحدهم قلمه أو لسانه بغير الإسلام و الإيمان رغم كثرة ما كتبوا و ما يكتبون، و لزماً على من يود استجلاء غوامض الأحكام في العقائد أن يتبينها من أقلام ذويها.

و لا معول على ما يرى في بعض مصنفات علماء العلويين القديمة مما يتنافى- و محض اعتقادهم بتوحيد الله، و لا يصح أن يعتبر دليلاً على إدانتهم بما دسته يدج الإرجاف و الإجحاف في حقول مؤلفاتهم من تهمة يعرفها الجميع أنها من مخلفات العصور الحالكة التي مرت بهم، و من مولدات غلاة الشيعة الذين أتاحت لهم ظلمات تلك الأجيال أن يجوسوا خلال ديارهم و يملؤها عليهم بدعاً و أضاليل كما تقدم.

و نحن على ثقة أن ما من منصف يتقصى آثار هذه الفئة العربية المسلمة بتأمل و روية، و يتعمق بدراسة ما يصله من مصنفاتها و أخبارها إلى حد يمكنه من التمييز بين أصيل الأقوال و دخيلها، إلا استببان وجه الحق فيما يسمع و يرى، و ألزمه وجدانه الحكم لا ببراءة علمائها مما لفق عليهم من تهمة فحسب، بل بالذود عن حقهم المغموط و مكانتهم المسلوقة و كرامتهم التي عمل المبطلون للغض منها و العفاء عليها.

و لا يعزب عن جعل الإنصاف رائده ما حاق بهذه الفرقة في الأيام الخالية من عنت المسؤولين الذين وهبوا آذانهم للوشاة و المفسدين، و جعلوا أنفسهم و قواهم أداة طيعة لمشيشة المرجفين الذين مردوا على النفاق يوردونها من شأوا و يصدرونها عن شأوا، دون وازع من ضمير و لا رقابة من وجدان.

و بعد إلفات نظر عقلاء الأمة إلى هذه النواحي الهامة من حياة العلويين ,فإننا نطلب إلى المتصدين للحكم في معتقداتهم الأناة و الرفق في نفوسهم و في إخوانهم، و الأمانة و الإخلاص للحق و العدالة قبل إصدار أحكامهم التي و لا ريب، ستكون آنذاك إلى جانب الحق الذي ما زال ينتهج شرعته العلويون، إذ هل عليهم في الدين من حرج و في المجتمع من غضاضة بانتهاج مذهب أئمة الحق أهل بيت الحكمة و مهبط الوحي و مختلف الملائكة، و ماذا عليهم إن اعتقدوا ما أثبت جهابذة العلم و أئمة الفقه و ثقات الحديث كعلامة المعتزلة، ابن أبي الحديد، و الإمام أحمد، و الشيخ البحراني، و غيرهم، مما أتى الله سبحانه، أمير المؤمنين(الإمام علياً) عليه السلام، من المعاجز و الكرامات، و أعطاه من علم القضايا و المنايا، كالأحكام الواردة في الفصل الثالث و الخمسين من كتاب(قضاء أمير المؤمنين) للعلامة المحقق الشيخ(محمد تقي) التستري، و ما إلى ذلك من فضائل جمة كمثير عدوها دقيق فهمها، تلك الفضائل التي يسوء كارهيها نشرها و يأبون إلا الإساءة إلى معتقديها و الطعن على المحدثين بها.

و حسب تلك الفضائل و الكرامات أن تجري على لسان علوي جاهل لا قدرة له على تحليل أسبابها و لا معرفة له بوجوه الحكمة فيها حتى ترتفع أصوات المعارضين بالنكير عليه مدوية بتكفيره، و يتخذوا من انتسابه إلى العلويين دليلاً على تفریطهم جميعاً، و من قصر فهمه مسوغاً لتسفيه أحلامهم كافه، و هم على يقين أن ما من عالم في العلويين و لا عاقل و لا مفكر يعدل بخالقه مخلوقاً أو يشرك بربه أحداً، و لكنها العصبية البغيضة و الحقد المشبوب في صدور الذين يحبون أن يأكلوا لحم أخيهام ميتاً.

و من مزيج الجهل و الضغينة في هؤلاء و أولئك تكونت فكرة الافتراء الأثيم على العلويين، و انطلقت أسهم الفتك و التجريح في نفوسهم و معتقداتهم، و هبت عليهم أعاصير الظلم الصريح حتى كادت تودي بهم.

و من تحرى ملابسات التهم الملققة على هذه الفرقة و وصل إلى أعماق الغاية منها، علم يقيناً أنها وليدة الرئاسة و رضية الساسة، أحكم وضعها المرجفون و تعاهد نموها المغرضون، و من تملقها بعين بصيرته بدت له مكسوة إلا بالحق و الصدق، عارية إلا من الظلم و الافتراء،(و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون).

و أن أثقل ما رزح و يرزح تحته العلويون عبء ما افتراه عليهم أصحاب الأغراض الخبيثة من أفاعيل ادعيائهم الذين كتب لهم الحظ بتسميتهم علويين و هم أداة هدم في بناء هذا الصرح المجيد، و صورة قبيحة عن هذه الفرقة المسلمة المؤمنة يتعمد- نقلها إلى العالم- الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، بالإضافة إلى ما ألقاه أولئك الأئمة على العلويين من تبعات جهالهم و سذاجهم، الذين قصرت عقولهم و عيّت إفهامهم عن إدراك ما أفاض به العلماء و

الفقهاء و المحدثون من ذكر معاجز الإمام علي(ع) التي يستحيل أن يأتي بمثلها إلا من أمده الله بعنايته و أيده بروح منه، و ما دوى من صرير أقدامهم في أذن الأجيال ناطقاً بفضله و معلناً و قوف العقول حائرة دون مقامه، فمن تلك الأقوال المستفيضة ما ينسب إلى الإمام الشافعي و قد ثبت لديه ما اطلع عليه من مناقب خارجة عن المؤلف من طاقة الإنسان قوله: قيل للصاحب بن عباد، و الصاحب بن عباد هو من بين قادة الفكر و رجال العلم و الأدب:

قيل لي قل في علي المرتضي مدحاً تطفئ ناراً موقده

قلت هل أمدح من في فضله حار ذو اللب إلى أن عبده

و هذا علامة المعتزلة ابن أبي الحديد يقول في ذلك و ما أكثر ما يقول:

هو الآية العظمى و مستنبت الهدى و حيرة أرباب النهى و البصائر

إلى قوله:

صفاتك أسماء و ذاتك جوهر بريء المعالي من صفات الجوهر

يجل عن الأعراض و الأين و المتى و يكبر عن تشبيهه بالعناصر

و قد يبالغ بالتعبير فيبلغ به الأمر حد العذر لمن شك بمرئوبيته فيقول:

تقبلت أفعال الربوبية التي عذرت بها من شك أنك مرئوب

إلى غير ذلك من أقوال صدع أصحابها بها بفضل أمير المؤمنين(ع) فصدعوا بها الألباب الثاقبة فضلا عن العقول القاصرة.

و من المناقب الخارجة عن المؤلف من طاقة الإنسان:

إخباره بالمغيبات كقوله لما عزم على هرب الخوارج و قيل له أن القوم قد عبروا جسر النهران(مصارعهم دون النطفة، و الله لا يفلت منهم عشرة و لا يهلك منهم عشرة) و تفصيل ذلك في المجلد الأول من شرح النهج الحديدي، صفحة (560) و ما بعدها، و صفحة(٢٥٣) و ما بعدها، و منها، ردة الشمس، و في إثبات ذلك جاء في المجلد الأول من شرح النهج الحديدي صفحة(٣٥٠) ما نصه: حدث عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفي عن أبيه عن عبد خير، قال كنت مع علي أسير في أرض بابل، و حضرت صلاة العصر فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أقبح من الآخر حتى أتينا على مكان أحسن ما رأيناه و قد كادت الشمس أن تغيب، قال فنزل علي(ع) فنزلت معه قال: فدعا الله فرجعت الشمس .

و في ذلك يقول العلامة ابن أبي الحديد:

يا من له ردت ذكاء و لم يفز بنظيرها من قبل إلا يوشع

و رب قائل: لو ردت الشمس لاختل نظام الكون و اضطرب عدد السنين و الحساب، فنقول له: إن من يمسك السموات و الأرض أن تزولا لقوي على حفظ توازن الكون من الاختلال إذ يرد الشمس تكريماً لمن أمدته بعنايته، و إن من نادى كليمة في النار من الشجرة و حال دون احتراق الشجرة بالنار، و من جعل العصا لموسى حية تسعى و أعادها سيرتها الأولى لهو القادر على عدد السنين و الحساب من الاضطراب، إذ يرد الشمس تعظيماً لمن أيده بروح منه(و هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه) و من البديهي، أن المعجزة لا تكون معجزة إلا بخرقها للنظام الطبيعي و مغايرتها للمألوف الكوني، و منها، قلع باب خيبر و قد كان يعجز الأشداء الكثر هزه فضلا عن قلعه و ريه في الهواء، و قد قال أمير المؤمنين(ع) {والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية بل بقوة إلهية} و في قلع الباب يقول ابن أبي الحديد(يا قالع الباب الذي عن هزه عجزت أكف أربعون و أربع) إلى ما لا يحصيه قلمي من مناقب نمسك عنها إيجازاً و نحيل المستزيد إلى كتب السير و الحديث.

و إنني إذ ألفت سمع القارئ الكريم و بصره إلى أمثال هذه أرسلها من لاشك في دينهم و معتقدهم أناشيد مجلجلة في مسمع الكون يتغنى بها الزمان و الخلود ،فإني أطلب إلى إنصافه و ضميره النظر بعين بصيرته، إذا كان أولئك الأعلام من علماء الأمة أعلنوا حيرتهم في هذه الشخصية الفذة، و وقفت حيالها عقولهم جامدة، فما حال متدين بسيط من أبناء هذه الفئة التي مزقتها سياسة الجور كل ممزق، و باعدت بينها و بين المدينة و الاجتماع، فتفشى فيها الجهل و الأمية،و سادها الانكماش و الخمول، ألا يحسن بالمنصف و قد أدرك عجز عقول بسطاء هذه الفرقة عن تعليل ما تخطى أسماعهم و امتلك عليهم أفئدتهم من أقوال أولئك العلماء و أمثالهم في أمير المؤمنين(ع)، أن يعذرهم على حيرتهم و ضعف مداركهم عن التمييز بين القصد في الولاء و الإفراط فيه.

و هم إذ كانوا يطلقون أئمة ألسنتهم بالتعبير عما انعقدت عليه قلوبهم من حب خالص و ولاء محض لأئمتهم المعصومين صلوات الله عليهم و يفيضون بذكر معجزهم و كراماتهم حتى كاد يكون ذلك الحب و هاتيك الإفاضة ضرباً من العبادة كانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً لجهلهم نتائج هذا السرف و الإفراط.

أما و قد سطع نور العلم و ارتفع لواء الحرية و خرج أبناء هذه الفئة العربية من عزلتهم لينتظموا في سلك إخوانهم العرب تحت راية العروبة، و يتبؤوا مقعدهم تحت الشمس مع إخوانهم المسلمين، فليس فيهم مسرف في حبه أو مبدر في ولائه، و إذا وجد في أوساطهم أو بين أكنافهم من هذا شأنه فهو- ولا ريب -دخيل عليهم أو من بعض أدعيائهم، و هم من إسرأفه و تذييره براءء.

و حسب المسترسل في خيانة نفسه و إخوانه المتقول عليهم ما ليس فيهم قطعاً لعذره و دحضاً لحجته ما صدع به من الحق سماحة الإمام الحجة(محمد الحسين آل كاشف الغطاء) عطر الله رمسه، في كتابه(أصل الشيعة و أصولها) بعد أن أتى على بعض ما يقول كثير متصوفي الإسلام و مشاهير مشائخ الطرق و بعض فرق الشيعة غير الإمامية، إذ أعلن مسمعاً من له أذن و اعية فقال:

(أما الشيعة الإمامية و أعني بهم جمهرة العراق و إيران، و ملايين المسلمين في الهند، و مئات الألوف في سوريا و الأفغان، فإن جميع تلك الطائفة من حيث كونها شيعة يبرؤون من تلك المقالات، و يعدونها من أشنع الكفر و الضلالات، و ليس دينهم إلا التوحيد المحض و تنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوق أو ملابسة لهم في صفة من صفات النقض و الإمكان و التغيير

و الحدوث، و ما ينافي وجوب الوجود و القدم و الأزلية، إلى غير ذلك من التنزيه و التقديس المشحونة به مؤلفاتهم في الحكمة و الكلام) انتهى.

و لا أعتقد أن في عقلاء المسلمين من يخامرهم الشك أو يساوره الريب في سلامة دين هذه الفئة الإمامية(العلويين) و صحة معتقدتهم، إلا أن يكون مغرضاً أو متأثراً بعامل التعصب البغيض، و هذان داء مجتمعنا و منبع بليتنا، و لا يصلح أن يداوي منهما من أصيب بأحدهما أو بكليهما، إلا بعد التثبت من شفاء قلبه مما قد أصيب به.

و من أولى مسألة الخلاف في الأمة حقها من العناية و التحميص رآها لا مسوغ لها و لا عذر للعاملين عليها، و إنها لسائرة بالجميع إلى مهاوي الذل و الهلكة.

و لقد حث المسلمين على الألفة و الاجتماع و حضهم على الإتحاد و الإخاء سماحة المغفور له، الإمام آية الله(السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي) في كتابه الذي صنفه خصيصاً لهذه الغاية و سماه(الفصول المهمة في تأليف الأمة) و ندبهم فيه إلى ما ألزمهم به الذكر الحكيم من الإخاء و الولاء.

(إنما المؤمنون إخوة)(و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض).

و استقى فيه حقيقة أسباب المناذات و الشغب في حقل دنيا المسلمين و العرب، فخلص إلى الصريح اللباب منها و دعا إلى طرحها و التخلي عنها، فكان على رأيه(و لا غيره، إن من أهم الأسباب التي أثارته ربح الفتنة و الاضطراب، جرأة من اسماهم بقضاة الرشوة و علماء سوء على تبديل أحكام الله و استخفافهم في ما شرع سبحانه من حلال و حرام، فأفتوا بتكفير المؤمنين و وجوب قتل المسلمين، و استرقاق نسائهم و ذراريهم، نزولاً عند رغبة ملوك الجور تحسناً لأفعالهم، أو طمعاً بما في أيدي ولاية الجنف تصحيحاً لأعمالهم، و في ذلك يقول في الفصل التاسع من(فصوله المهمة) صفحة(١٥١) ما نصه: و لا غرو فإن علماء سوء و قضاة الرشوة يبدلون أحكام الله بالتافه، و يبيعون الأمة بالنزر القليل.

فقاتل الله الحرص على الدنيا، و قبح الله التهالك على الخسائس، ما أشد ضررها و ما أفضح خطرهما، نبذ أولئك الدجالون حكم الله وراء ظهورهم طمعاً في الوظائف، و حكموا بما تقتضيه سياسة ملوكهم رغبة في المناصب، و أرجفوا في المؤمنين و فرقوا كلمة المسلمين، و لولاهم لتعارفت الأرواح و انتلفت القلوب و امتزجت النفوس و اتحدت العزائم فلم يطمع بالمسلمين

طامع، و لم يرمقهم من النواظر إلا بصر خاشع، و لكن و أسفاه استحوذ عليهم أولئك المفسدين الذين ينحرون دين الله في سبيل الوظائف و يضحون عباده في طلب القضاء و الإفتاء، فتنا كرت بفتاويهم وجوه المسلمين و تباينت بأراجيفهم رغائب الموحدين، حتى كان من تفرق آرائهم و تضارب أهوائهم ما تصاعدت به الزفرات و فاضت منه العبرات و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، و قال في الصفحة (١٤١) من الفصل و الكتاب ما نصه:

(فهلما يا قومنا للنظر في سياستنا الحاضرة و عرجوا عما من شؤون السياسة الغابرة فإن الأحوال حرجة و المآزق ضيقة لا يناسبها نبش الدفائن و لا يليق بها إثارة الضغائن، و قد آن للمسلمين أن يلتفتوا إلى ما حل بهم من هذه المنابذات و المشاغبات التي غادرتهم طعمة الوحوش و فرائس الحشرات)

و لقد استعرض سماحة المغفور له الإمام الشيخ (محمد الحسين آل كاشف الغطاء) مواقف بعض علماء المسلمين و كتبهم من بعض، و حذر من التمادي في هذه الخطة التي تجر إلى سوء العاقبة، فقال في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه (أصل الشيعة و أصولها) تحت عنوان (كيف يتحد المسلمون).

(و هيهات أن يسعدوا ما لم يتحدوا، و هيهات أن يتحدوا ما لم يتساعدوا، فيا أيها المسلمون لا تبلغون الاتحاد الذي بلغ به أبأؤكم ما بلغوا بتزويق الألفاظ و تنميق العبارات أو نشر الخطب و المقالات و ضجيج الصحف و عجيج الأقلام، و ليس الاتحاد ألفاظاً فارغة و أقوالاً بليغة و حكماً بالغة، مهما بلغت من أوج البلاغة و شأو الفصاحة، ملاك الاتحاد و حقيقة التوحيد هنا، صفاء نية، و إخلاص طوية، و أعمال جد و نشاط، إلى أن قال : الاتحاد أن يتبادل المسلمون المنافع، و يشتركوا في الفوائد، و يأخذوا بموازين القسط، و قوانين العدل، و نواميس النصف، فإذا كان في قطر من الأقطار كسوريا أو العراق طائفتان من المسلمين أو أكثر فالواجب أن يفترضوا جميعاً أنفسهم كأخوين شقيقين قد ورثا عن أبيهما داراً أو عقاراً فهم يقتسمونه عدلاً و يوزعونه قسطاً، و لا يستأثر فريق على آخر فيستبد عليه بحظه و يشح عليه بحقه) (و من يوق شيخ نفسه فأولئك هم المفلحون) فتكون المنافع عامة، و المصالح في الكل مشاعة، و الأعمال على الجميع موزعة.

و ليس معنى الوحدة في الأمة أن يهضم أحد الفريقين حق الآخر فيصمت، و يتغلب عليه فيسكت، و لا من العدل أن يقال للمهضوم إذا طالب بحق أو دعا إلى عدل أنك مفرق أو مشاغب، بل ينظر إلى طلبه فإن كان حقاً نصره و إن كان حيفاً أرشده و أقنعوه، و إلا جادلوه بالتالي هي أحسن مجادلة الحميم لحميمه و الشقيق لشقيقه، لا بالشتائم و السباب، و المنازرة بالألقاب، فتحتدم نار البغضاء بينهما حتى يكونا لها معاً حطباءً، و يصبحا معاً للأجنبي لقمة

سائغة و غنيمة باردة.

و بعد أن استعرض بعض من يغمزون بالشيعية و أنتمهم من كتاب العصر و خوف من مقابلتهم بالثل من الكتاب الآخرين، قال:

فليظن عقلاء الفريقين إلى أين ينتهي حال المسلمين من هذه الهوة السحيقة و ما الثمرة و الفائدة من كل ذلك، إلى أن قال:

ينسى الكل أو يتناسى عدوهم الصميم الذي هو لهم بالمرصاد و الذي يريد سحق الكل و محو الجميع، و يبث بذور الشقاق بينهم ليضرب بعضهم ببعض و ينصب أشراك المكر لصيد الجميع، و لا يسلم المسلمون من هذه الأشراك المبتوثة لهم في كل سبيل حتى يتحدوا عملاً لا قولاً و جداً لا هزلاً انتهى.

و إننا إذ نتطرق في البحث موضوع كشف النقاب عن صورة العلويين لتبرز للملا على حقيقتها، و إذ نتعرض لتزييف وجوه الافتراء عليهم لم يكن ذلك منا تحيزاً إلى فئة و لا جرياً وراء عاطفة، و لا لدفع الظلم عنهم و لا لفتح باب الجدل و الخصام، و لكن لرفع أغشية الجهل بهم عن الرأي العام فتلزم كلا حجته، أخذاً برأي القائل (إن ترك الافتراء كما هو دون دحض يقيم من شأنه و يبقى عليه) و القول الحق أن احتمال الأذى و الإغضاء على القذى في سبيل وحدة الكلمة و جمع فرق الأمة هو الأمة هو خير ثواباً و خير أملاً، و من خلال هذه السطور نناشد علماء المسلمين و كتّابهم استخدام ألسنتهم و أقلامهم للمصلحة العامة و الدعوة إلى الكلمة الجامعة غير الفرقة بدلا من المشاكسة و المهاترة و تبديد الشمل و تمزيق الصفوف.

و ما أحوجنا نحن المسلمين و العرب جميعاً إلى العمل متحدين لتطهير بلادنا من رجس المستعمر العدو المشترك، الذي في كل قطر من أقطارنا حوت من حيثانه فاغر فاه يتربص بنا الدوائر (عليه دائرة السوء) و يغتنم تعدد نزعاتنا و أهوائنا فرصة للانقضاض علينا و ابتلاعنا عضواً فعصفوا.

و ما أولادنا نحن المسلمين بالمسارعة إلى الأخذ بما دعا إلى الإسلام أو دعا الإسلام إليه، ألا و هو الوحدة و الإخاء ضاربيين بما سوى ذلك عرض الجدار.

و إذ نحن في صدد الكلام عن العلويين و بحث أوضاعهم و أحوالهم، فإننا نطلب إلى القارئ المنصف نظرة و لو عابرة بتجرد إلى الأدوار العصبية التي اجتازها العلويون في ماضيهم الرهيب ليرى كيف أنهم أرغموا على إنكار ذواتهم و كتمان و لائهم، مما شجع على قبول النقولات فيهم و تصديق المفتريات عليهم، و هل ألم من ذلك و قد ألم كله بهم في تلك العهود البائدة.

و إزاء ما منوا به من جور الحكام و سخط الرعية فقد استبدلوا بالجموع زوايا يؤدون فريضة الصلاة فيها أو في بيوتهم، مولين وجوههم شطر المسجد الحرام، و ما كان ليزيدهم إهمال العالم المتمدن أمرهم و إسداله حجاب النسيان عليهم إلا إيماناً على إيمانهم و تمسكاً بخالص حبهم و لائهم لأنتمهم المعصومين عليهم السلام.

و ها هو هؤلاء ما إن أفاء الله عليهم نعمة الحرية و شهدوا أنوار الإخاء و المساواة طالعة عليهم من ثنايا رائد القومية العربية(أمد الله ظلّه) متجسمة بمرسوم جمهوري يعلن سيادته فيه الاعتراف بالمذهب الجعفري في هذه الجمهورية الحبيبة، و ما إن عاينوا صورة التقريب و الوحدة يرسمها قلم الأستاذ الأكبر(أعلا الله مقامه) قراراً يقرر فيه تدريس مذهبهم الجعفري إلى جانب إخوته المذاهب الأربعة في الجامع الأزهر الشريف.

ما أن عاينوا ذلك و تحققوه حتى حطموا قيود العزلة و انفلتوا من عقال الانكماش و جروا في ميادين الانطلاق سراعاً لتشييد بيوت الله و إعلان شعائرهم الإسلامية وفق فقه مذهبهم، مرتفعة أصوات مؤذنيهم كل يوم و ليلة خمس مرات تشق عنان الفضاء بالتكبير لمن له الملك الكبير، و تنطلق حناجر خطبائهم في أيام الجمع و الأعياد بالثناء و الحمد له سبحانه و الابتهاج إليه تعالى أن يمد ظلال هذا العهد الميمون و يديم حياة عملاقه الجبار خلوداً و بقاء، و يمنح العرب و المسلمين على يديه ما يصبون إليه.

ها هم العلويون يعلنون- و قد أذن لهم بالإعلان- من على رؤوس الإشهاد إقراراً بألسنتهم و اعتقاداً بأفئدتهم و عملاً بجوارحهم بأنهم يبرأون إلى الله من أية عبادة ما سوى عبادة الله رب العالمين.

(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق) فيطهروا نفوسهم من أضرار الماضي الوبيء و ينقوا قلوبهم من جراثيم التعصب البغيض، فينظروا إلى أخيهام المسلم العلوي نظرة تتنافى و تلك النظرة الأولى إذ حسبنا جميعاً بالماضي عظة، نظرة تحول بينهم و بين التورط في نسبة الأضاليل و الأباطيل إلى إخوانهم في الدين، نظرة إخاء و صفاء، نظرة معرفة

و اعتراف بأن العلوي هو بحمد الله ممن تأدب بأداب الإسلام و تمسك بتعاليم القرآن و وفر حظه من الإيمان و مكارم الأخلاق و لا يعتمد إلا على الكتاب و السنة و ضرورة العقل.

ألم يأن لنا نحن المسلمين و العرب جميعاً- و قد استضاءت عقول الأمم بأنوار الاكتشافات العلمية الجديدة، و اتجهت أبصار العالم إلى ما تحدثه أدمغة علمائهم في الكون من استخدام الذرة، و استنارت قلوب الشعوب بأضواء مصالحهم العامة- أن ندرك أن سر توقفنا عن مجارة الأمم في ميادين التسابق العلمي و الحضارة العالمية، هو انصياعنا لأحكام النزعات و الأهواء التي أحكمها في نفوسنا دعاة التفرقة و الانقسام، فكانت طوال أجيال مضت و إلى وقت قريب شغلنا الشاغل عن التطلع إلى الحضارات و عاملاً قوياً لإرساء قواعد المستعمر العدو الألد في بلادنا.

ألم يأن لنا أن ندرك هذه الحقيقة فنندارك مغبة أمرنا بالوحدة و التضامن، تغلباً على إيثار الغلبة، و تطهيراً للنفوس من رجس الأنانية، و ضرباً على أيدي المرتزقة و المغرضين، و تحصيناً لبلادنا و مصالحننا من الخونة و المرجفين.

ألم يكف الأمة ما لقيت من قضاة الرشوة و شيوخ الزور و علماء السوء، دعاة الخلاف و الفتنة في الأمة، العاملين على تفكك أجزاء وحدتها و فصم عراها و تفريق جماعتها.

إلى متى هذا الإرجاف و فيم هذا الإجحاف، ألم يأن لنا أن نأخذ بالأمر الإلهي الصادع بالحق(و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا). (و لا تنازعوا فتفشلوا)(و لا تكونوا كالذين تفرقوا و اختلفوا من بعد ما جاءهم البينات و أولئك لهم عذاب عظيم)

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا.)

و بعد هذه الدعوة الصادقة إلى اتفاق الكلمة و اجتماع القلوب و اتحاد العزائم و إحكام الألفة في النفوس و تطهير الصدور من الأحقاد و الضغائن، و قبل أن أمسك قلبي الذي كاد يزلق فيخرج بي عن الغرض من هذا الموجز اعتذر من طول مقدمته و لئن طالت عما قدرت لها فلأني رأيتني مضطراً لأن أعرض فيها طائفة من الآراء قد لا أجد لها مكاناً خلال الأبحاث القادمة.

و لقد سبق في خطبة هذا الكتاب أن الغرض منه تقديم صورة العلويين الحقيقية هدية للجمهور

الكريم، و لا أراني في عرضها إلا غنياً عن التحدث عنهم في العصرين الأموي و العباسي محيلاً من شاءهم هناك إلى مراجعة كتب التاريخ.

أما ما ألزم نفسي بحثه فهو الكلام عنهم منذ قيام الدولة الحمدانية في حلب حتى فجر النهضة الحديثة، و رتبته على أربعة فصول و خاتمة متوخياً بذلك كله الإيجاز.

الفصل الأول: في تعريف العلوي

دين العلوي و مذهبه

معتقدات العلويين

عادات العلويين

الفصل الثاني: في ذكر بعض رجال الفكر القدماء في العلويين

الفصل الثالث: في الأدوار التاريخية التي تعاقبت على العلويين

الفصل الثالث: في نهضة العلويين

الخاتمة

تعريف العلويين

ألحقت بالعلوي ياء النسبة على التبعية، إذ أنها كما لا يخفى نسبة ولائية طبيعية، وعلى هذا فكل امامي منتسب بولائه للإمام علي عليه السلام فهو علوي، ذلك الولاء المقدس المنبثق عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم وقد جعل له من أغصان الدوح مرتفعاً فارتقاه وخطب الناس فقال بعد كلام طويل و الكل شهود.

(من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله) وعلى هذا المورد القدسي يلتقي كل شيعي مهما اختلفت نزعته و بعد منبته، إذ لا بد للفرع من اللحاق بالأصل، و مما لا ريب فيه انه أصل مذهب التشيع و عليه بنيت قواعده، و لهذا المذهب أحكامه و مأخذه و لتابعيه مجتهدون ثقافت تفاضلت رتب معارفهم.

الأمر الذي أدى إلى انقسام هؤلاء التابعين على أنفسهم فرقاً تبعاً لتعدد مجتهد يهم و تفاوت مدارك عقولهم في القضايا الفقهية، و كانقسام المسلمين كافة إلى سني و شيعي لاختلافهم في بعض أحكام الدين الفرعية، و انقسام أهل السنة إلى مذاهب أربعة تبعاً للأئمة الأربعة، و لولا إغلاق باب الاجتهاد عندهم لكثير مجتهد وهم و تعددت نزعات تابعيهم شأن إخوانهم الشيعة.

وما من غرضنا في هذا المقام البحث في الخلاف و المختلف به، و إنما لنقيم الدليل على أن الفرقة العربية المشهورة بنسبتها للولائية العلوية، هي إحدى تلك الفرق المسلمة الشيعية.

و رب قائل لم تفرد العلويون بهذا الاسم دون غيرهم من الشيعة و هل كانوا يعرفون به قديماً أم أن الأجنبي عرفهم به، فأقول له:

لا يتطرق الشك إلى قلب عاقل في علوية كل شيعي امامي، و إن تعددوا فرقاً و بعدوا منبثاً، إذ ليس التشيع إلا موالاة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام. و الأصل في تفرد هذه الفرقة (العلويين) بحمل هذا الاسم هو حملهم ما منوا به و أودوا و حدهم دون إخوانهم الشيعة في سبيل

صدق ولأنهم لأئمة الحق من مرارة التشريد و الإقصاء عن المدينة و الاجتماع، و وحشة سكنى المغاور و الأنفاق، و بحملهم مشاق الحياة و شظف العيش و قسوة أحكام الحكام الشعبويين، مما اضطرهم إلى الانزواء في هذه الجبال الوعرة الضيقة ، و اتخاذها مدخلات، حتى أصبحت بعد حين من الدهر تشاطرهم حمل هذا الاسم و يضحى أداة تعريف لها، فهي اليوم تعرف بجبال العلويين. هذه العوامل و الأسباب مجتمعة و منفردة بعض ما صان لهم شرف الانتماء إلى هذا النسب الولائي المقدس و حفظ لهم حق التفرد به.

و لم يكن عرفان العلويين بهذا الاسم هدية من الأجنبي إليهم، أو منه منَّ بها عليهم كما يزعم المرجفون و أصحاب الأغراض السيئة، و إنما هو اسمهم الذي كانوا به يعرفون قديماً، إذ لا جدل أن علويي اليوم هم أحفاد أولئك العلويين القدماء الذين زانوا مفرق الأمة العربية بأكاليل من غار انتصاراتهم على الروم أيام الدولة الحمدانية، و الذين كانوا يرفون به آنذاك تمييزاً بينهم و هم أنصار الأئمة من أبناء

علي(ع) و بين أنصار الخلفاء العباسيين، ولا اعتقد أن مطلعاً على ما في بطون السير و التاريخ يخامرهم أدنى شك في علوية الحمدانيين و أشياعهم و معرفتهم آنذاك بهذا السم، و ما زال أحفادهم يعرفون به إلى أن سلبهم ساسة الجور علن انتسابهم إليه بعد ظهور مذهب النصيرية، و استبدلوهم به اسم النصيريين سيراً على خطة الطعن و التجريح التي اعتادوا سلوكها حيال هذه الفئة العربية المؤمنة بحق آل بيت نبيها، بغية عزلها عن إخوانها الشيعة، و تبريراً لأعمالهم الوحشية معها و تمكيناً لهم في الأرض على حساب ظلمهم و إرهابها، و لقد تم لهم ما أرادوا، فرقوا بين العلويين و بين إخوانهم الاماميين، و ألزموهم اسم النصيريين رضوا أم أبوا، و أفاضوا بدعوتهم به حتى أمسى اسمهم الذي به يدعون، و علمهم الذي به يعرفون، إلى أن كانت الحرب العالمية الأولى و أخذت شمس الحرية تنتشر خيوط أشعتها على عالم الكون مؤذنة بمحو ظلم الاستعمار و قطع دابر المستعمرين، فهب العلويون لمقاومة (فرنسا) حجر الزاوية في بناء الاستعمار الغاشم و يلحون بوجوب تعريفهم باسمهم الحقيقي (العلويين) مما اضطر الفرنسيين إلى إعلان دعوتهم به .

و من البد يهي أن الأجنبي إذ اعترف – مرغماً- باسمهم فعلى نية مبيتة بالشر و قلب مليء بالخبث و الضغينة، ولم يقصد- جرياً على سياسته المبنية على قاعدة (فرق تسد) - إلا إحياء أراجيف سلفه الشعبويين أعداء العروبة و الإسلام، من تفكيك أجزاء الوحدة الإسلامية و فسم عراها و تفريق جماعتها ,

(استنكاراً في الأرض و مكر السيئ و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله). و لكن الله سبحانه حفظ للأمة وحدتها و صان لها كيانها و رد كيد الظالم إلى نحره.

فما سبق وضحت أسباب تفرد العلويين بهذا الاسم و قدم عرفانهم به، و دحض المزاعم بتعريفهم به من قبل الأجنبي، و تبين أن لا فضل عليهم بإعادة اسمهم إليهم، إذا كان الزمن عاد فسمح لهم بمسايرة ركبته بعد أن أسلمهم للانزواء و حال بينهم و بين الانطلاق في ميادين التقدم أمداً طويلاً.

و ها هم أولاء ما إن سلكوا مناهج الحياة الحرة محتفظين بلغتهم و دينهم و أنسابهم و تقاليدهم حتى أقر العالم بوجودهم و اعترفوا باسمهم .

و لكم يسرني و أنا أحد أفراد هذه الفرقة في عهد الحرية و الطمأنينة أن أكتب عنها بوضوح و جلاء.

دين العلوي و مذهبه

الدين في العرف اللغوي يأتي على معان كثيرة نجتزي بأربعة منها التوحيد، قال تعالى ألا الله الدين الخالص (أي التوحيد الخالص، الجزاء، قال تعالملك يوم الدين) أي يوم الجزاء، الحكم، قال تعالى و لا تأخذكم بهما رافة في دين الله) أي في حكم الله، الطاعة، قال تعالى و له الدين واصباً (أي الطاعة دائماً. و الدين في الاصطلاح الشرعي هو ما شرعه سبحانه و تعالى لعباده من شرعة أو منهاج على لسان رسول كريم، و قد ينحصر الدين في قضايا خمس، (١) معرفة الخالق (٢) معرفة المبلغ عنه (٣) معرفة ما تعبد به و العمل به (٤) الأخذ بالفضيلة و رفض الرذيلة (٥) الاعتقاد بالمعاد و الدينونة. و هذه القضايا الخمس يجمعها الإسلام الذي أكمل به الباري الأديان الإلهية و حصر تعريفها به بقوله تعالى إن الدين عند الله السلام (سورة آل عمران) و الإسلام شرعاً، هو الإقرار بالشهادتين و الالتزام بأحكام الشرع، و لغة، هو الطاعة و الانقياد، و لقد عرفه أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، بقوله (:لأنسبن الإسلام نسبة لم

ينسبها احد قبلي،الإسلام هو التسليم، و التسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، و التصديق هو الإقرار، و القرار هو الأداء، و الأداء هو العمل فهو بهذا يشمل اعتقاد العباد و أفعالهم، ة الإسلام و الإيمان مترادفان و يطلقان على معنيين (أعم و أخص) و يعتمد المعنى الأعم على ثلاثة أركان، التوحيد، و النبوة ، و المعاد ، (من آمن بالله و رسوله و اليوم الآخر) فمن دان بتوحيد الله و نبوة خاتم النبيين محمد(ص)و اعتقد بيوم الجزاء فهو مسلم حقاً له ما للمسلمين و عليه ما عليهم و من أنكر ركناً من هذه الأركان الثلاثة فليس بمسلم و لا مؤمن ، و يعتمد المعنى الأخص على الأركان الثلاثة المذكورة و على ركن رابع هو العمل بدعائم الإسلام الخمس و هي : الصلاة ، و الزكاة ، و الصوم ، و الحج ، و الجهاد ، (من آمن بالله و رسوله و عمل صالحاً) وهذا المعنى هو الإيمان المعروف بقول أمير المؤمنين (الإمام علي)ع، (الإيمان اعتقاد بالجنان ، و إقرار باللسان ، و عمل بالأركان). فتبين أن ما ورد في الذكر الحكيم من الإيمان بالمعنى الأعم و هو ما يراد به الاعتقاد فقط كان إسلاماً، و ما ورد في الذكر من الإيمان بالمعنى الأخص و هو ما يشتمل على الاعتقاد و العمل كان إيماناً ، و على هذا فكل مؤمن مسلم و ليس كل مسلم مؤمناً والأصل في هذا التقسيم قوله تعالى) : قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الإيمان في قلوبكم)(سورة الحجرات) و قد زاده تعالى إيضاحاً بقوله الحق : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)(سورة الحجرات) و هذه حجة تقطع بان الإيمان ، قول، و يقين، و عمل.

فدين العلوي التوحيد المحض و تنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوق ، و الإقرار بنبوة سيد الرسل محمد(ص) و الاعتقاد بالمعاد ، و العمل بدعائم الإسلام الخمس ، و يتفق و جميع الشيعة الامامية على زيادة ركن خامس على هذه الأركان الأربعة التي هي أصول الإسلام و الإيمان بالمعنى الأخص عند جمهور المسلمين ، ألا و هو الاعتقاد بالإمامة ، يعني إن العلوي يعتقد أن الإمامة منصب الهي يختار الله لها من يشاء اختياره للنبوة و الرسالة ، (و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة) و كما أن تأييد النبي بالمعجزة نصّ عليه من الله ، فالبارئ سبحانه يأمر نبيه بالنص على من ينصبه إماماً للناس من بعده ، للقيام بالوظائف التي كان يقوم بها النبي سوى أن الإمام لا يوحى إليه،(أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) و الفرق بين النبوة و الإمامة واضح جلي ، و هو أن النبي يبلغ ما ينزل إليه و حياً من ربه و الإمام يبلغ ما يتلقاه من النبي مع تسديد الهي ، فالنبي مبلغ عن الله و الإمام مبلغ عن النبي . و الأئمة عند العلويين اثنا عشر كل سابق ينص على اللاحق ، و الاعتقاد بعصمتهم شرط في صحة إمامتهم و إلا لزلت الثقة بهم ، و أولهم آخر الأوصياء لآخر الأنبياء ، الإمام علي

المرتضى ، فالحسن المجتبي ، فالحسين شهيد كربلاء ، فعلي زين العابدين ، فمحمد الباقر ، فجعفر الصادق) ، و إليه ينسب فقهاء أهل البيت (فموسى الكاظم ، فعلي الرضا ، فمحمد الجواد ، فعلي الهادي فالحسن العسكري ، فمحمد بن الحسن المعروف بالمهدي القائم المنتظر حجة العصر و الزمان ، صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين .

و العلوي شديد التمسك بولائه حريص على الاعتقاد بأنهم أمناء الله في أرضه، و خزنة علمه، و حججه على خلقه، و أنهم أئمة معصومون. و (عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون) ما ضل من تمسك بهم ، و لا زل من استنساء بنورهم ، أخذاً بالنصوص الواردة الصريحة ، و الأحاديث الثابتة الصحيحة ، عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم إذ أهاب في الجاهلين و صرخ في الغافلين ، فنادى يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا ، كتاب الله و عترتي أهل بيتي) . و قال صلى الله عليه و آله و سلم (إني مخلف فيكم الثقيلين ، كتاب الله و عترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي) ، (و قال صلى الله عليه و آله و سلم إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، و عترتي أهل بيتي لن يغيرفا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما) و قال صلى الله عليه و آله و سلم : (مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق ، و إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له) . و الأحاديث الآخذة بالأعناق إلى أهل البيت و تضطر المؤمن إلى الانقطاع في الدين إليهم أكثر من أن تحصى

و قصارى القول فالعلوي مسلم، مؤمن يدين الله دين الحق

دين الإسلام الذي لا مرأى فيه و لا شك يعتريه، كتابه القرآن و قبلته الكعبة، يعرف ما افتراضه الله عليه في يومه و عامه و عمره، فيؤدي من ذلك ما يستطيع، يأمر بالمعروف و ينهي عن المنكر و يصلح ما أمكنه الإصلاح ، و يحلل ما حلل الله و رسوله، و يحرم ما حرم الله و رسوله، لا يخاف في الله لومة لائم، يرجع في فتاويه المذهبية و مسائله الفقهية إلى أحكام مذهب الإمام (أبي عبد الله جعفر الصادق) عليه السلام، و من أولى من الإمام الصادق بالتأويل و معرفة أحكام التنزيل، و هو فرع شجرة النبوة و الإمام الحق (و الحق أحق أن يتبع) و صاحب البيت أدرى بالذي فيه. و عن هذا الإمام المعصوم يأخذ العلوي الفقه و يروي العلم و على مذهبه يقيم الصلاة

و فيه يؤلف مصنفاته .

معتقدات العلويين

لا خلاف البتة بين المسلمين العلويين و بين بقية إخوانهم المسلمين في جوهر الدين و أصوله، فأصول الدين عندهم هي نفسها الأصول الخمسة عند جميع الاماميين و هي : التوحيد، و النبوة، و الإمامة، و المعاد، و فروعه تنقسم إلى عبادات و معاملات أوضحها الكثير من علمائهم في كتبهم و مصنفاتهم.

أما في أفعال العباد التي لا تخرج عن أحد ثلاثة كما عرفها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بقوله : (الأعمال ثلاثة : فرائض، و فضائل، و معاصي ،فأما الفرائض فبأمر الله و مشيئته و برضاه و بعلمه و قدره يعملها العبد فينجو من الله بها، و أما الفضائل فليس بأمر الله لكن بمشيئته و برضاه و بعلمه و بقدره يعملها العبد فيثاب عليها، و أما المعاصي فليس بأمر الله و لا بمشيئته و لا برضاه و لكن بعلمه و قدره يقدرها لوقتها فيفعلها العبد باختياره فيعاقبه الله عليها لأنه قد نهاه عنها فلم ينته.)

في أفعال العباد التكليفية كلها يعتقد المسلمون العلويون أن الله عز شأنه خلق العبد و منحه الاستطاعة على الفعل و الترك قطعاً لعذره في ترك ما أمر به أو فعل ما ينهى عنه، و أوجده مختاراً له حرية الإرادة و المشيئة في أفعاله الشخصية فهي منه و له، لم يجبره البارئ تعالى على فعل و لا ترك بل العبد اختار ما شاء منهما مستقلاً، و لذا يصح عند العقل و العقلاء مدحه و مثوبته على فعل الخير و لومه و عقوبته على فعل الشر، و هو موكول في أعماله إلى نفسه بعد أن وضحت له الخير و الشر و وعدَ و أوعِدَ عليهما المثوبة و العقوبة على السنة الدعاة الصادقين، (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (سورة النساء.)

و بذلك يكون العباد مريدين لأفعالهم غير مجبرين عليهما و لا مهملين، بل إنهم عنها مسؤولون و عليها محاسبون، إن خيراً و إن شراً بدليل قوله تعالى (: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره) (سورة الزلزال .)

و قد يأتي العقل – إثباتاً للعدل الإلهي – إلا الإقرار بوجود تحمل العباد مسؤولية أعمالهم، و صدورها عن إرادتهم و إتيانهم إياها بمحض اختيارهم لا جبر و لا إهمال، إذ لو كانوا مجبرين لبطل الثواب و العقاب، و لا فضل لمحسن و لا مسؤولية على مسيء، و لو كانوا مهملين لانتفى الإقرار بوجود المبدع الأول و قدرته على تدبير مكوناته و قوة سلطانه عليها، و لاختل نظام

هذا الكون البديع و عمت الفوضى سائر أجزائه، و لم تكن فائدة في بعثة الأنبياء و إنزال الكتب و الوعد والوعيد. و اقطع الأدلة و أقواها على منح العباد الاستطاعة على الفعل و الترك و وكول أعمالهم إليهم و إلقاء تبعاتها عليهم هو قوله تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت) (سورة البقرة) و مما جاء في تفسيرها، لا تكلف نفس إلا ما تسعه قدرتها فضلاً و رحمة أو ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها و يتيسر عليها، كما في قوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر) (سورة البقرة) و هو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال، لها ما كسبت من خير و عليها ما اكتسبت من شر، لا ينتفع بطاعتها و لا يتضرر بمعاصيها غيرها، و مثله قوله تعالى : (و نفسٍ و ما سواها فألهمها فجورها و تقواها) (سورة الشمس) و قد جاء في تفسيرها للقاضي (ناصر الدين البيضاوي) عليه الرحمة، (إن إلهام النفس الفجور و التقوى إلهامها و تعريفها حالهما أو التمكين من الإتيان بهما)

و مما لا ريب فيه إن البارئ سبحانه لا يحاسب العبد عما يخرج عن حدود سيطرته و لا يكلفه بما ليس في مقدوره، و لذا فإن الله تعالى لا يحاسب العبد على حركة قلبه و دورة دمه، و لا يسأله عن كونه طويلاً أو قصيراً أو غير ذلك من الأعمال التكوينية، و إنما يحاسبه على أعماله التكليفية و هي كل ما دخل في حدود الأوامر و النواهي مخاطباً به البالغ العاقل يحاسبه لأنه لم ينفذ الأمر مع قدرته على التنفيذ أو لم يترك النهي مع قدرته على الترك، و هو بهذا مسؤول عما هو قادر على فعله أو تركه فحسب.

و لقد وضحت المحجة و قامت الحجة للبارئ سبحانه على خلقه بتعريفه إياهم سبل الخير و الشر في غير موضع من كتابه الكريم، كقوله تعالى : (و هديناه النجدين) أي طريقي الخير و الشر.

و من أسمى التوجيه و ابلغ الأقوال في الاستطاعة و وكول أعمال العباد إليهم و حملهم مسؤوليتهم جواب الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، للحسن البصري و قد كتب إليه يسأله:

أما بعد، فإنكم معشر بني هاشم الفلك الجارية و اللجج الغامرة و الأعلام النيرة الشهيرة، أو كسفينة نوح التي نزلها المؤمنون و نجا فيها المسلمون، كتبت إليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا في القدر و حيرتنا في الاستطاعة، فأخبرنا بالذي عليه رأيك و رأي أبائك عليهم السلام، فإن من علم الله علمكم و أنتم شهداء على الناس و الله شاهد عليكم ذرية بعضها من بعض و الله سميع عليم، فأجابه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم وصل إلي كتابك و لولا ما ذكرته من حيرتك و حيرة من مضي قبلك

إذا ما أخبرتك، أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره و شره إن الله يعلمه فقد كفر، و من أحال المعاصي على الله فقد فجر، إن الله لم يطع مكرهاً و لم يعص مغلوباً و لم يهمل العباد سدى من المملكة بل هو المالك لما ملكهم و القادر على ما عليه أقدروهم، بل أمرهم تخبيراً و نهاهم تحذيراً، فان انتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صادأً، و إن انتهوا إلى معصية فشاء أن يمن عليهم بان يحول عنها بينهم و بينها فعل و إن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً و لا ألزموها كرهاً، بل من عليهم بأن بصرهم و عرفهم و حذرهم و أمرهم و نهاهم، لا جبلا على ما أمرهم به فيكونون كالملائكة و لا جبراً على ما نهاهم عنه، و لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين، و السلام على من اتبع الهدى)

و أراني غير محتاج إلى التنبيه على جلالة هذا القول الفصل و فخامة معانيه و وضوح حجته بمنح العباد استطاعة الفعل و الترك و تحميلهم مسؤوليات أعمالهم، و من تدبر ما جاء فيه تنبيهه فيضاً قدسياً من أنوار الحق المشرقة في بلاغة أمير المؤمنين علي عليه السلام، إذ يقول – و على ما يقول يعتمد اعتقاد المسلمين العلويين بنفي الجبر و الإهمال و منح العباد القوة على أفعالهم و وكولهم فيها إلى نفوسهم فعلاً و تركاً بعد الوعد و الوعيد – ما نصه : (إن الله سبحانه أمر عباده تخبيراً و نهاهم تحذيراً و كلف يسيراً و لم يكلف عسيراً و أعطى على القليل كثيراً و لم يُعص مغلوباً و لم يطع مكرهاً و لم يرسل الأنبياء لعباً و لم ينزل الكتاب عبثاً، و لا خلق السموات و الأرض و ما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)

و أي من كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد يتدبر هذا القول الحق و لا يشهد أن المخير غير المجبر و المحذر غير المهمل و أن العدل جار في الخلق فلا يكلفون عسيراً، و لم يكن بعث الرسل و إنزال الكتب إلا إصلاحاً لشؤون العباد و تنظيمياً لأحوالهم، (افحسبتم إنما خلقناكم عبثاً و إنكم إلينا لا ترجعون)(سورة المؤمن).

و من أوجز النصح و ابلغ الحجة في هذا الباب قول أمير المؤمنين عليه السلام، لمن يرى القضاء و القدر بمعنى الجبر فيخاطبه بحكمته البالغة و توجيهه السامي ليفيء به إلى طلال العقل و نعمة الهداية، (لعلك ظننت قدراً لازماً، و قضاء حتماً، لو كان كذلك، لبطل الثواب و العقاب و سقط الوعد و الوعيد و الأمر و النهي، و لم تأت لائمة من الله لمذنب و لا محمداً لمحسن، و لم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء و لا المسيء أولى بالذم من المحسن)

و هذا القول غني عن البيان و التبيين لان الحق يحمل في نفسه دليل حقيقته، و لولا ما ورد عن أئمة العصمة أهل بيت الحكمة في حل مشكلة القضاء و القدر لظلت الأبصار و البصائر حاسرة حائرة أمام هذا الباب المغلق الموصل، أما و قد أناروا السبيل و أقاموا الدليل على مطابقة القضاء و القدير للعدل الإلهي الشامل فقد وضحت المحجة و قامت الحجة و ظهر الحق و حق

اليقين بان لا جبر و لا إهمال، بل منزلة بين منزلتين. يوضح هذا ما جاء في كتاب (مختصر بصائر الدرجات) للشيخ (حسن الحلبي) قال: بالإسناد عن غير واحد، عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام، قالوا: إن الله عز و جل ارحم من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم بها، و الله اعز من أن يريد أمراً فلا يكون، قال: فسئلا عليهما السلام هل بين الجبر و التفويض منزلة ثالثة، قالوا: نعم، أوسع مما بين السماء و الأرض.

و من تمقّل بعين بصيرته ما مر معنا في هذا المعنى، عن أمان هذه الأمة و باب حطتها تبنيه- و لا ريب- دليلاً قطعياً على صحة معتقد العلويين بشمول العدل الإلهي كل كائن و مكّون، و استبان- بمقتضى هذا العدل- تحمل العباد مسؤولية أعمالهم و إتيانهم إياها بمحض اختيارهم لا جبلاً على الطاعة و لا جبراً على المعصية، و استشف من خلال ذلك معنى القضاء و القدر و هو إن البارئ سبحانه و قد أحاط سابق علمه في ما يكون من عباده و ما يحدث لهم من خير و شر و إيمان و كفر و طاعة و عصيان و إساءة و إحسان، فكتب و صور أعمالهم و أحوالهم في لوح القضاء، و لعلمه في ما يجري لهم و عليهم قدره لوقته، كالعلم في حدوث أمر ما على شخص ما في يوم كذا بسبب كذا، فكان ما علمه من أعمال خلقه و أحوالهم و رسمه في لوح القضاء و قدره في وقته الموقت له هو القضاء و القدر، لا على أن علم البارئ تعالى بأفعال عباده و أحوالهم قبل كونها، و رسمه إياها في لوح القضاء و تقديره إياها في الموقته لها يكون قضاء حتماً عليهم بفعلها، بل إثباتاً لقدرته تعالى على كل كائن و مكّون و إحاطته علماً بكليات الأشياء و جزئياتها. يؤيد هذا القول و يوضحه ما ورد في كتاب (مختصر بصائر الدرجات) للحلي، بالإسناد إلى الصدوق محمد بن علي بن الحسين عن أبيه قال: حدثنا محمد بن عبد الله عن القاسم بن محمد الأصفهاني عن سليمان بن داود المنقري عن سليمان بن عيينة عن الزهري، قال: قال رجل لعلي بن الحسين عليهما السلام، جعلني الله فداك، أبقدر يصيب الناس ما يصيبهم أم بعمل، فقال: إن القدر و العمل بمنزلة الروح و الجسد فالروح بغير جسد لا تحس و الجسد بغير روح صورة لا حراك لها، فإذا اجتمعا قويا و صلحا، كذلك العمل و القدر، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق و كان القدر شيئاً لا يحس، و لو لم يكن العمل بموافقة القدر لم يمض و لم يتم.

و هذا القول يفيد و يكاد يقطع بأن القدر هو علم البارئ السابق للأشياء قبل وقوعها و تقديره إياها في أوقاتها الموقته لها، و في ذلك تمييز بين الخلق و الخالق، و بموافقة العمل للقدر يمضي أمر الله تعالى و تنفذ مشيئته في عباده، و المشيئة قد تكون مشيئة حتم كمشيئة خلق البارئ سبحانه عباده و تكوينه إياهم على ما هم فيه و عليه، طويلاً و قصراً و فصاحة و عجمة و بياضاً و سواداً، و غير ذلك من الصفات الجارية فهو واقع لا محالة، و قد تكون مشيئة علم و تخلية بين العباد و أفعالهم بعد أن يوضح لهم سبيلي الخير و الشر و يأمرهم و ينهاهم و يمنحهم القوة على الفعل و الترك، إثباتاً لعدله و إتماماً لفضله، كما يخلي بين العصاة و بين معاصيهم، فإن شاء أن يحول بينهم و بينها و يمنعهم منها كان ذلك فضلاً منه عليهم و منة، و إن لم يعصمهم منها فليس هو الذي أجبرهم عليها، و من أصدق الأمثلة و أقطع الأدلة على صحة هذا القول ما

فعل مع آدم و يوسف عليهما السلام، فقد نهى آدم عن الأكل من الشجرة و ما شاء أن يخلي بينه و بين الأكل منها ، و كان أكله منها سبباً لخروجه و ذريته من الجنة إلى هذه الدار و على هذه الحال و الصفة، و لو شاء لعصمه كما عصم يوسف إذ أراه برهان ربه و صرف عنه السوء و الفحشاء، فهل كان سبحانه بتخليته بين آدم و بين الأكل من الشجرة هو الذي أجبره على الأكل منها، كلا و معاذ الله، إذ لو كان ذلك كذلك لتنافى عقابه بالهبوط من الجنة و العدل الإلهي، و لكان البارئ ظالماً له، حاشى الله و أستغفر الله، و لا يظلم ربك أحد، و تأبى عليه تعالى رحمته التي وسعت كل شيء أن يجبر عبده على ذنب ثم يعذبه به.

و في معنى ذلك ما ورد في (أمالي) السيد المرتضى و في كتاب (تحف العقول) مع قليل اختلاف في اللفظ ، أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال: حججت في أيام أبي عبد الله الصادق عليه السلام فلما أتيت المدينة دخلت داره فجلست في الدهليز أنتظر إذنه إذ خرج صبي يدرج فقلت يا غلام أين يحدث الغريب إذا كان عندكم و أراد ذلك، فنظر إلي و قال: توقّ شطوط الأنهار و مساقط الثمار و أفنية الدور و المساجد و قارة الطريق و توار خلف جدار و شل ثوبك و لا تستقبل القبلة و لا تستدبرها و ضع حيث شئت، فأعجبني ما سمعت من الصبي و نبّل في عيني و عظم في قلبي، فقلت له: ما اسمك، فقال: أنا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فقلت له: يا غلام ممن المعصية، فقال عليه السلام : إن السيئات لا تخلو من إحدى ثلاث، إما أن تكون من الله- و ليست منه- فلا ينبغي للرب أن يعذب العبد على ما لا ير تكب و أما أن تكون منه و من العبد- و ليس كذلك- فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، و أما أن تكون من العبد وحده- و هي منه- فإن عفا فبكرمه و جوده، و إن عاقب فبذنب العبد و جريئته، و عليه وقع الأمر و إليه توجه النهي و له حق الثواب أو العقاب و وجبت الجنة أو النار، قال أبو حنيفة: فانصرفت و لم ألق أبا عبد الله عليه السلام و استغنيت بما سمعت. هذه الرواية بالإضافة إلى ما فيها من الدلالة على فضل الإمام و الإشارة إلى إعلان حقه بالإمامة تفيد الفائدة التامة و جوب تنزيه البارئ تعالى و تقديس ذاته العلية عن كل صفة من صفات النقص و العجز و المحال، إن الله لا يأمر بالسوء و الفحشاء، إن الله لا يظلم مثقال ذرة و إن تك حسنة يضاعفها و يؤت من لده أجرأ عظيماً، و تقضي بثبوت حمل العباد مسؤولية أعمالهم و مجازاتهم بها، إلا أن يرحم الله ، يعذب من يشاء و يرحم من يشاء و إليه تعلقون.

و الأخبار في نفي الجبر و التفويض و إثبات العدل و المنزلة بين المنزلتين مستفيضة تضيق عن استقصائها المجلدات الضخمة فأنى لهذا الموجز استيعابها، و من شاء أن يهتدي بنور العقل إلى معرفة ما أثبتته النقل في هذا الموضوع فليرجع إلى رسالة الإمام الهادي علي بن محمد الجواد عليهما السلام أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر و التفويض، و فيها ما ينفي الشك و يدفع الوهم و يوحى باليقين و يحمل على التصديق بأن لا جبر و لا تفويض و لكن منزلة بين منزلتين ألا و هي الامتحان و الاختبار بالاستطاعة التي ملكنا الله و تعبدنا بها على ما شهد به الكتاب و دان به الأئمة المعصومون الأبرار من آل بيت الرسول صلى الله عليه و عليهم أجمعين.

و لقد وضع الحق جلياً لمريديه في ثبوت صحة الاعتقاد بوكول أعمال العباد إليهم و حملهم أعباء مسؤوليتهم بقوله تعالى: (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه و من ضل فإنما يضل عليها و ما أنا عليكم بوكيل) و الآيات البيّنات الشاهدة بصحة هذا الاعتقاد كثيرة في كتاب الله تعالى ليس هذا موضع استقصائها.

و يعتقد المسلمون العلويون أن ما ينزل بالعباد من مصائب و يحيق بهم من مكاره هو نتيجة ما كسبوا و جزاء ما عملوا، لثبوت اعتبار العدل الإلهي أصلاً من أصول الدين عندهم، و لأنه تبارك اسمه لا يجوز عليه الخور على خلقه (ولا يظلم ربك أحداً). و مما يؤكد صحة هذا الاعتقاد لديهم و يزيدهم تمسكاً به ما رواه الأصمغ بن نباتة قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول أحدثكم بحديث ينبغي لكل مسلم أن يعيه، ثم أقبل علينا، فقال عليه السلام، ما عاقب الله عبداً مؤمناً في هذه الدنيا إلا كان أجود و أمجد من أن يعود في عقابه يوم القيامة، و لا ستر الله على عبد مؤمن في هذه الدنيا و عفا عنه إلا كان أمجد و أجود و أكرم من أن يعود في عفوه يوم القيامة، ثم قال عليه السلام، و قد بيتلي الله المؤمن بالبلية في بدنه أو ماله أو ولده أو أهله و تلا هذه الآية (ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير) و ضم يده و هو يقول ثلاث مرات (و يعفو عن كثير).

و قد أورد القاضي ناصر الدين البيضاوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (ليس بأمانتكم و لا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) (سورة النساء) (إنها لما نزلت قال أبو بكر (رضي) فمن ينجو مع هذا يا رسول الله، فقال صلى الله عليه و آله و سلم، أما تحزن، أما تمرض، أما يصيبك اللأواء، قال بلى يا رسول الله، قال هو ذلك، و جاء في تفسير قوله تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله و ما أصابك من سيئة فمن نفسك) (سورة النساء)، إن ما أصابك من الصحة و السلامة و سعة الرزق و جميع نعم الدين و الدنيا فمن الله أي تفضلاً منه تعالى لأن كل ما يفعله العبد من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود، و ما أصابك من المحن و الشدائد و الآلام و المصائب فمن نفسك، أي بسبب ما تكسبه من الذنوب و المعاصي، و أورد البيضاوي في تفسيرها حديثاً عن أم المؤمنين عائشة مرفوعاً، (ما من مسلم يصيبه و صب و لا نصب حتى الشوكة يشاكها و حتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب و ما يعفو الله أكثر) و ختم البيضاوي شرح هذه الآية بقوله: (إن الحسنة إحسان و امتنان و السيئة مجازاة و انتقام. و الأيتان كما ترى لاحجة فيهما لنا و للمعتزلة).

و في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: (ما من شيء يصيب المؤمن في جسده إلا كفر الله به عنه من الذنوب) و روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري (رضه) عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال : (ما يصيبك المؤمن من نصب و لا

وصب و لا هم و لا حزن و لا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها و روى الشيخان عن أبي مسعود (رضه) عن النبي (ص) أنه قال : (ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياها كما تحات أوراق الشجر) و روى الترمذي عن أنس بن مالك عن النبي (ص) أنه قال : (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا و إذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة) و عنه (ص) (إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه نقمة ليذكره الاستغفار و إذا أراد بعبد شراً فأذنب ذنباً أتبعه نعمة لينسيه الاستغفار و يتمادى بها).

عادات العلويين

لم تكن العادة ديناً يلزم الأمة أو الشعب الانتظام في سلوكه، و لا معتقداً عاماً يضطر المجتمع إلى اعتناقه و الأخذ به، و إنما هي تكرار فعل ما بصورة تنزع إليها النفوس جرياً على سنن يفتد بها التابع المتبوع، و هي تختلف زماناً و مدائن و أريافاً و أمماً و شعوباً، إذ أنها تستلهم من طبيعة إقليم أصحابها و مجريات أحوال زمانهم.

أما العادات عند المساميين العلويين فإنها لا تختلف بشيء عما عند إخوانهم العرب المسلمين من عادات، و ربما كانت فيهم أشد علوقاً و أبلغ أثراً، كإكرام الضيف، و سخاء اليد، و إباء النفس، و عفة اللسان، و صيانة العرض، و رعاية حقوق الجار، إلى ما هنالك من شجاعة و مروءة، و إقدام و غيرة، و شهامة و تضحية، و ما سوى ذلك من عادات في الأفراح و الأتراح يقومون بها مع التزام سنن الآداب و مراعاة حرمة التعاليم السماوية، و إنهم و أيم الحق لبراءاء من أية عادة تتنافى و مكارم الأخلاق.

و إن أعجب فعجب ما قرأت في العدد الثامن و الخمسين من مجلة الأجيال عام (1953) تحت عنوان (نحن و التاريخ) ترجمة الأستاذ (منير الشعار) عن مؤلف باللغة الأجنبية للمؤرخ المعاصر الدكتور (فيليب حتي) (يقال أن عند العلويين عوائد سرية ليلاً لا يظهر عليها غيرهم) إلى كثير من الإرجاف و الإجحاف في عقائد العلويين و عاداتهم مما تأباه الأخلاق و الأذواق، و أعجب منه صدوره عن جهبذ التاريخ في هذا العصر الحر و أحد أساطينه، الدكتور (فيليب حتي) و سماحه لقلمه أن يجري بمداد الأقوال المكذوبة و المقولات المغرضة، دون أن يكلف نفسه بعض عناء التمحيص و جهد الاستقصاء، و دون أن يشير إلى مصادر تلك الأباطيل و السفسطات، و الخلق بمن يؤرخ للأجيال أن لا يعتمد على ما يقال، لأن التاريخ بناء، أساسه الواقع و دعامة الحقيقة، ترفع قواعده العقول المتحررة و الضمان الحية، لا خيالات و أوهام

يبعثها الافتئات ويمليها الارتزاق, و قد نربأ بمؤرخنا المعاصر و هو من هو أن يكون حمله شيء من ذلك على هذا الإسفاف الصريح و التحامل المفضوح على العلويين.

و إذا كان عذر المؤرخين القدماء فيما افتروه على هذه الفئة العربية المسلمة من القول الزور و البهتان العظيم، إرضاء أصحاب الطيالس و الصوالج الذين كان الطعن و التجريح مرضاة نفوسهم المريضة و دواءها، و أداة الحظوة و القبول لديهم، فما عذر مؤرخنا الكبير و قد تبدلت الأرض غير الأرض و تغير وجه الزمان، و أسدل الستار على الشعبويين و أحكامهم الجائرة، و انبعث في الأمة العربية حكام من صميمها، رسل سلام و رحمة للناس، و دعاة وحدة و إخاء في العرب، و ما مبرره في ما نقل للأجيال عن العلويين دون تمييز بين القول و التقول، و هو المفروض به الترفع عن التقليد الأعمى و التحرر من قيود العصبية البغيضة.

و واعجباً و أكثر يعمل علماء هذا العصر دائبين لتخطي متون الأفلاك و اختراق طبقات الأرض و تذليل عقبات الهواء و الماء، حرصاً على أمانة اختصاصهم العلمي، و إكتشافاً لما في مستودعات هذا الكون من أسرار، و يتجشم المؤرخون و الباحثون عناء قطع آلاف الأميال و جهد مشاق الترحال سعياً وراء الحقيقة ضالة التاريخ المنشودة، و لا يكلف مؤرخنا الأمين نفسه المتحررة عناء قطع عشرات الأميال في إحدى رحلاته إلى سوريا أو لبنان، تعرفاً على العلويين، و ليعرف منهم عن عقائدهم و عوائدهم ما لا يمكنه معرفته من غيرهم، و رعيماً لحرمة التاريخ و فقد حمل أمانته.

و هو و لا شك لو أراد أن يعلم لما جهل أن هذه الفئة العربية المسلمة ليست مجهلا من مجاهل التاريخ و لا أسطورة من أساطير الخيال ليجعل المؤرخون من عقائدها و عاداتها أحاديث سمار و أقاصيص رواة، بل هي حقيقة ثابتة في الوجود، و أداة فعلة في حقل دنيا العرب و المسلمين .

و لو تبصر لبصر أن ما كتبه عن العلويين في مقاله ذاك بعيد عن الصدق بعد الباطل عن الحق، و لكنه نزل بهم عند حكم مشيئته و وقف منهم حيث وقف سلفه في أودية التيه و المغالطات و في دياجي الخيال و الظنون عشواً عن أنوار الحقيقة المشرقة عليهم فتهدى إلى عقائدهم و عوائدهم كل بصير يفتأ يجعل عليه من ضميره رقيباً و من وجدانه حسيباً .

و ما كنت لأولي هاتيك الترهات و الأباطيل أية التفاته و قد تولاهما الواقع الراهن بالدحض و التكذيب، و شهد الحق المبين بصراحة بطلانها، لولا أن الغاية من وضع هذا الكتاب هي إظهار الحقيقة و الانتصار للحق، و قصد إطلاع الرأي العام على ما دونه المغرضون من أراجيف مختلفة، فتشهد الإنسانية الصحيحة تنكر إديائها من المؤرخين لمبادئها المثلى، و مدى تجنيبهم

و تحاملهم على العلويين فيعلم من لا يعلم، إذا كان هذا حالهم مع كتاب و مؤرخي هذا العصر الذي تألفت فيه أنوار الحرية و استتشر عالمه المناداة بالعدالة الاجتماعية، فما الظن بهم في عصور كان يتجاذب طرفيها الظلم و الظلام. و أحر بهذا الكتاب و قد حمل أمانة التاريخ أن يكون رعاها حق رعايتها، فتدبر ما نقله للأجيال القادمة بحكمة الخبير المنصف جاهداً لإرضاء الحق و العدالة الإنسانية، بدلاً من اندفاعه وراء النزوات و انصياعه لأحكام العواطف و الشهوات، و لا أدل على تحكم عاطفته بعقله و إسلاس قياده لهواه في كتابته عن العلويين من بلبله رأيه و اضطراب قلمه، فهو تارة يرميهم بالوثنية و طوراً بالحلولية، و حيناً بالإباحية، و غير خفي على المبتدئ من طلبه العلم فكم بالأحرى العلماء فرق ما بين الوثنية و الحلولية، و هو لو تمقل روايته بعين درايته لتجلت له الحقيقة بأطهر أثوابها نافضة ما علق بها من غبار الزيف و التشويه، صارخة بصوتها المدوي في أذن كل من كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد، إن على العلويين حصانة خلقية تحول بينهم و بين ما يتنافى و شرعة السماء، حصانة اكتسبوها من صدق و لائهم لآل بيت نبيهم الطاهرين، و سيرهم على سنة أئمتهم العادلة، و حرصهم على أصالة أنسابهم العربية العريقة، و ذلك كاف للعدول بهم عن مخازي الأقوال و الأفعال .

ذكر بعض رجال الفكر القداماء في العلويين

لقد كان في العلويين رجال دوى ذكرهم في الآفاق و أقض مضاجع قيصر الروم خيال انتصاراتهم، رجال نعتز بماضيهم الفخم الحافل بالمفاخر القومية و المآثر الطيبة التي من شأنها رفع مستوى الأمم و الشعوب، و نعتد بمجتمعهم الزاهي الذي يضاهاى أي مجتمع عالمي و عياً و رقياً و ازدهاراً، و إن إذ نذكر أولئك الأجداد البهاليل فقد نذكر بمقدمتهم الأمراء الحمدانيين الذين رسموا على صفحات التاريخ النقية صورة المجد الخالدة بأحرف من نور، و حسبهم جمعاً لصفات المجد ما وصفهم به الثعالبي في يتيمة حيث يقول: (كان بنو حمدان ملوكاً و أمراء، أوجههم للصباحة، و للفصاحة، و أيديهم للسماحة، و عقولهم للرجاحة).

و زاد عليه المجتهد الأكبر (السيد محسن الأمين) طيب الله ثراه فقال: (و نفوسهم للطماحة، و قلوبهم للشجاعة، و أقوالهم للبراعة، و أوامرهم للإطاعة، و حماهم للمناعة، و صيتهم للإذاعة).

و فيهم يقول السري الفاء من قصيدة يمدح بها سيف الدولة: آل حمدان غرة الكرم المحض و صفو الصريح منه اللباب

أشرق الشرق منهم و خلا الغرب و لم يخل من ندي و ضراب

ينجلي السلم عن بدور رواض فيه و الحرب عن أسود غضاب

و فيهم يقول هارون الكناني من قصيدة:

بيرزون الوجوه تحت ظلال الموت و الموت فيهم يستظل

كرماء إذا الظبي غشيتهم منعتهم أحسابهم أن يولوا

و فيهم يقول جعفر بن محمد الموصلي:

بأبناء حمدان الذين كأنهم مصابيح لاحت في ليال حوالك

لهم نعم لا أستقل بشكرها و إن كنت قد سيرته في المسالك

و فيهم يقول أبو الطيب المتنبي في مدح الملك سيف الدولة:

و أنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنه تشابه مولود كريم و والد

و حمدان حمدون و حمدون حارث و حارث لقمان و لقمان راشد

و فيهم يقول شاعرهم المجلي في ميداني السيف و القلم، من لا يشق غباره و لا تدرك آثاره،
الأمير (أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان)

الذي كان يقول فيه الصاحب بن عباد، (بدئ الشعر بملك و ختم بملك) يعني امرؤ القيس و أبا
فراس، و ما أكثر ما يقول:

و نحن أناس يعلم الله أننا إذا جمح الدهر الغشوم شكائمه

إذا ولد المولود منا فإنما الأسنة و البيض الرقاق تئامه

و فيهم يقول أيضاً:

فلم يخلق بنو حمدان إلا لمجد أو لبأس أو لجد

و يقول فيهم أيضاً:

إذا كان منا واحد في عشيرة علاها و إن ضاق الخناق حماها

و لا اشتورت إلا و أصبح شيخها و لا اختبرت إلا و كان فتاهها

و لا ضربت بين القباب قبابه و أصبح مأوى الطارقين سواها

و فيهم يقول أيضاً:

و نحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

و قد قال المجتهد الأكبر (السيد محسن الأمين) عطر الله رسمه، في كتابه (أبو فراس الحمداني
(في تعريف عشيرته ما نصه:

(نشأ أبو فراس في عشيرة عربية صميمة تقلب أفرادها بالملك و الإمارة قروناً عديدة، و كانت
لهم أحسن سيرة مملوءة بمحاسن الأفعال و جميل الصفات، من كرم و سخاء، و عز و إباء، و
صولة شجاعة، و فصاحة و براعة، و حلم و صفح، و تدبير و غيرة، و حماية للجار و حفظ
للذمار، و رأي رصين و عقل رزين، إلى غير ذلك، و كلهم أو جلهم شعراء مجيدون أهل
شجاعة و إقدام، تعودوا ممارسة الحروب و قيادة الجيوش، و يندر أو ليس بموجود أن يكون
فيهم من ليس بشاعر و لا شجاع فارس) انتهى .

علوية الحمدانيين

و لتوثق عرى اتصالنا فيهم و إتماما للفائدة تلزمنا الإشارة إلى آرائهم الدينية، فمما لا جدل فيه و
لا ريب أنهم كانوا يدينون بالولاء للإمام علي و أبنائه الأئمة الطاهرين عليهم السلام، و
يصدقونهم التشيع لهم و الدفاع عن حقهم، و لا غرو أن توجد فيهم تلك الروح المؤمنة بحق آل
البيت القوية بايمانهم، لأن من الوقوف على تطورات عصرهم و درس أحوال البيئية التي نشأوا
فيها و بمعرفة المؤامرات المفضوحة و المكاييد المكشوفة التي كان يكيدها العباسيون لأبناء علي
(ع) تدرك العوامل التي أثرت في نفوسهم، بالإضافة إلى ما فيها من صدق الولاء و الإخلاص
لآل البيت، فحملتهم على صدق العزيمة في الدفاع عن حقهم السليب و الانتصار لهم في
مواقفهم، و ها هي تلك الروح الجبارة تتجلى في نفس شاعرهم الأمير (أبي فراس) لدى وقوفه
على قصيدة (محمد بن سكرة العباسي) التي يفتخر بها على الطالبين، و ينتقص بها ولد علي و
يتحامل فيها عليهم و التي أولها:

بني علي دعوا مقاتلكم لا ينقص الدر وضع من وضعه

فيفوق الأمير (أبو فراس) عزمه الوثاب سهاماً حادة على أقواس شعره، و يطوحها مدوية في الآفاق يصيب بها مقاتل خصومهم، مدلاً بشهامته العربية و ولائه المحض و حبه الخالص لأبناء علي (ع) و من يود معرفة انتصاره لقضايا أئمة العادلة و مدى دفاعه عن حقوقهم المغتصبة، فليرجع إلى ميمته الشافية التي مسير الأمثال، و مطلعها:

الدين محترم و الحق مهتضم و فيء آل رسول الله مقتسم

ولينظر المتأمل بعين بصره و بصيرته إلى صدق ولائه لأئمة البادي صراحة بقوله:

لا يطغين بني العباس ملكهم بنو علي مواليتهم و إن رغبوا

أتفخرن عليهم لا أباً لكم حتى كأن رسول الله جدكم

و ما توازن يوماً بينكم شرف و لا تساوت بكم في موطن قدم

و لا لجدكم مسعاة جدهم و لا نثيلتكم من أهم أمم

ليس الرشيد كموسى في القياس و لا مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم

و إنى لأهيب بالقارئ الكريم للاستماع إلى سهامه المرنة في أذن الأجيال منطلقة إلى مقاتل العباسين، بعد أن تخطى بجرأته النادرة صدر الكثير من الحوادث التاريخية المنكرة التي جاؤوها فيقول لهم تأنيباً و توبيخاً، مندداً بسوء أعمالهم و قبح أفعالهم:

ما نال منهم بنو حرب و إن عظم تلك الجرائم إلا دون نيلكم

كم غدرت لكم في الدين واضحة و كم دم لرسول الله عندكم

أأنتم آله فيما ترون، و فــــي أظفاركم من بنيه الطاهريــــن دم

هيهات لا قربت قربي و لا رحم يوماً إذا أقصت الأخلاق و الشيم

كانت مودة سلمان لهم رحماً و لم يكن بين الروح و ابنه رحم

يا جاهداً في مساويهم يكتّمها غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم

ذاق الزبيري غب الحنث وانكشفت عن ابن فاطمة الأقوال و التهم

باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته وأبصروا بعض يوم رشدهم فعموا

يا عصابة شقيت من بعد ما سعدت و معشراً هلكوا من بعد ما سلموا

لبئسما منهم و إن بليــــت بجانب أطف تلك الأعظم الرمم

و ذكر شيء من غدر العباسين نسمعه يبعثها صوتاً مجلجلاً يصم بها آذانهم فيقول:

أبلغ لديك بني العباس مألّكة لا يدعوا ملكها، ملاكها العجم

أي الفاخر أضحت في منابرهم و غيرهم أمر فيهن محتكم

و هل يزيدكم من مفخر علم و بالخلاف عليكم يخفق العلم

خلوا الفخار لعلمين إن سئلوا عند السؤال و عمالين إن علموا

لا يغضبون لغير الله 'ن غضبوا و لا يضيعون حكم الله إن حكموا

تبدو التلاوة من أبياتهم أبداً و من بيوتكم الأوتار و النغم

ثم بعد الإتيان على ذكر بعض مساوئ العباسين يختم قصيدته بقوله:

الركن و البيت و الأستار منزلهم و زمزم و الصفا و الحجر و الحرم

و ليس من قسم في- الذكر نعرفه إلا و هم غير شك ذلك القسم

صلى الإله عليهم كلما سجعت ورق فهم للورى ذخر و معتصم

بهذا الحماس المتدفق و الإخلاص الأكيد و العاطفة الصادقة يثبت شاعرنا ولاءه لآل البيت، و ينتصر لحقهم المهضوم و يرمي خصومهم بقاصمة الظهر.

و ها نحن نسمعه في غير موقفه هذا يستشفع بالنبي الكريم و آله الطاهرين و يرى أن لا نجاة إلا بهم، فيقول:

لست أرجو النجاة من كل ما أخشاه إلا بأحمد و علي

و ببنت الرسول فاطمة الطه — ر و سبطيه و الإمام علي

و ألتقي النقي باقر علم الل — ه فينا محمد بن علي

و ابنه جعفر و موسى و مولانا علي أكرم به من علي

و أبي جعفر سمي رسول الله ثم ابنه الزكي علي

و ابنه العسكري و القائم المظهر ر حقي محمد و علي

بهم أرتجي بلوغ الأمانسي يوم عرضي على الإله العلي

أو يقول:

شافعي أحمد النبي و مولاي علي و البننت و السبطان

و علي و باقر العلم و الصادق ثم الأمين ذو التبيان

و علي و الخيران علي و أبوه و العسكري الداني

و الإمام المهدي في يوم لا ينفع إلا غفران ذي الغفران

ثم لا نلبث أن نراه و قد مرت به ذكرياته الخاطفة فأسمعتة بلسان الوحي إعلان الدعوة لولاية أمير المؤمنين(ع) و مثلت له تلك الفضائل صوراً حية، و عادت به الذكرى فأوقفته على مصرع الإمام الحسين(ع) و أشهدته قبح ما جنته تلك الأيدي الأثيمة، فنسمعه يقول في رثاء الإمام الحسين و الثناء على أمير المؤمنين عليهما السلام من قصيدته التي مطلعها:

يوم بسفح الدير لا أنساه أرعى له دهري الذي أولاه

يقول في الرثاء:

و احتز رأساً طالما من حجره أدنته كفا جده ويـداه

يوم بعين الله كان و إنما يملئ لظلم الظالمين الله

يوم عليه تغيرت شمس الضحى و بكيت دماً مما رأته سماه

لا عذر فيه لمهجة لم تنفطر أو ذي بكاء لم تفض عيناه

تباً لقوم تابعوا أهوائهم في ما يسوؤهم غداً عقباه

أتراهم لم يسمعوا ما خصه منه النبي من المقال أباه

إذ قال يوم غدِير خم معانئاً من كنت مولاه فذا مولاه

لو لم ينزل فيه (الأهل أتى) من دون كل منزل لكفاه

من كان أول من حوى القرآن من لفظ النبي و نطقه و تلاه

من كان صاحب فتح خيبر من رمى بالكف منه بابه و دحاه

من عاضد المختار من دون الورى من أزر المختار من أخاه

من خصه جبريل من دون الورى بتحية من ربه و حيااه

أظننتم إن تقتلوا أولاده و يظلكم يوم المعاد لـواه

أو تشربوا من حوضه بيمينه كأساً و قد شرب الحسين دماه

أنسيتم يوم الكساء و إنه ممن حواه مع النبي كساه

يا رب إنني مهتد بهداهم لا أهتدي يوم الهدى بسواه

أهوى الذي يهوى النبي و آله أبداً و اشنا كل من يشناه

تعال معي أيها القارئ الكريم بعد أن استمعنا إلى تدفق هذه العاطفة السائلة بالتفجع المرير على الإمام الحسين (ع) و التواعد الأمر على قتله، و نظرنا إلى ذلك الشعور الفياض بحب أمير المؤمنين (ع) و الإشادة بفضله و الإشادة إلى إعلان حقه يتجلى بمن و من و من إلخ.

تعال نشهد على ولائه الصادق و حبه الخالص و إيمانه المحض بولايتهم المشرقة على روحه فنطق بها لسانه:

يا رب إنني مهتد بهداهم لا أهتدي يوم الهدى بسواه

أهوى الذي يهوى النبي و آله أبداً و اشناً كل من يشناه

و لا أدل على علوية الحمدانيين من هذين البيتين الرائعين اللذين هما بمثابة لوحة فنية يرسم فيها الملك سيف الدولة قيمة حب الإمام علي(ع) و يصور هذا الحب و غايته و معناه حيث يقول:

حب علي بن أبي طالب للناس مقياس و معيار

يخرج ما في أصلهم مثلما يخرج غش الذهب النار

و مما يزيد الأمر وضوحاً بإثبات علوية الحمدانيين، هو أن دولتهم كانت مأوى علماء الشيعة و فقهاءها، يؤيد هذا ما أورده الكاتب المصري الكبير الأستاذ (عباس محمود العقاد) في رواية (اقرأ) الشيخ الرئيس (ابن سينا) حيث يقول: (و من الملاحظات التي لا تفوت المؤرخ في هذا الصدد أن كبار الفلاسفة المشركيين كانوا جميعاً من أنصار الشيعة، و هم الكندي، و الفارابي، و ابن سينا.)

و أقام الدليل على تشبيح كل منهم إلى أن قال عن الفارابي: (أما الفارابي فقد جمع بين التشيع و التصوف و أوى إلى دولة بني حمدان المتعصبة لآل البيت.)

و غير خفي ما في كلمة (المتعصبة) من الإفراط في تصوير انتصار الحمدانيين لحق آل البيت و الإسراف في التعبير عن صادق الحب و الولاء.

و لا جدل فإن بلاط الملك سيف الدولة كان عامراً بالمشاهير من الفلاسفة و العلماء و الفقهاء، كالفارابي هذا الذي كان مطربه و فيلسوف بلاطه، و قد أغنانا سيادة الأستاذ العقاد عن الإفاضة بذكره لقوله بتشيعه و إيوائه إلى دولة بني حمدان (المتعصبة) لآل البيت، و كأبي عبد الله الحسين بن محمد بن أحمد بن خالويه النحوي مرّبي أبناء الحمدانيين، و أبي الفرج الأصفهاني، صاحب الأغاني، و غيرهم من العلماء الذين يضيق بنا المقام عن ذكرهم .

و كان بابه مزدحم فحول الشعراء و له معهم الأخبار الكثيرة كالسلامي، و السري الرفاء، و الكناني، و ابن نباتة، و النامي، و الزاهي، و غيرهم، و على رأس أولئك جميعاً شاعراه، ابن عمه الأمير (أبو فراس الحمداني)، (و أبو الطيب المتنبي) اللذان صحباه في الكثير من غزواته، و نظماً فيها من جيد الشعر ما خلدهم جميعاً و جعلهم ملء سمع الزمان و بصره.

و حسبنا هذا القدر من ذكر الحمدانيين الذين لا تتسع هذه الصفحات لاستقصاء مفاخرهم و

مآثرهم، و هم أعرّف من أن يعرفوا، ليتسنى لنا الإتيان على ذكر غيرهم من رجال الفكر في العلويين و لو إيجازاً أو إيماء .

القول في بعض علماء العلويين القدماء و فقهاءهم

كان من جلة علماء العلويين و فقهاءهم القدماء السادة:

(أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، صاحب كتاب(تحف العقول عن آل الرسول) المطبوع في طهران الغني بحججه العقلية البالغة و أحاديثه الثابتة الصحيحة، و قد طبع مجدداً طبعة أنيقة، و من شاء فليطلبه من مظانه.

(و أبو محمد يزيد بن شعبة) كان عالماً محباً للخير فاعله، جواب آفاق حج البيت الحرام، فاجتمع بالأمير (أبي الفتح عبد الكريم الكرمانلي) صاحب جزيرة كرمان، فسأله صحبتته إلى جزيرته ففعل، ثم انتقل منها إلى جبال اليمن متجولاً فيها، ناشراً تعاليم الشريعة السمحة في تلك الأنحاء ثم قفل راجعاً إلى بلاده فتوفي في حماه.

(و أبو الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمنشد) و قد عرف بذلك لكثرة إنشاده في معاجز رسول الله و أهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم، و كان حسن الصورة و الصوت، عالماً فقيهاً داعياً إلى الإسلام و قد أسلم على يده كثير من اليهود و النصارى، و حفظ بعضهم القرآن الكريم فحج به البيت الحرام و كان مسكنه الجزيم و توفي عن ستين سنة و دفن في مشهد الإمام (الجواد)ع.

(و أبو حمزة الكتاني) كان حافظاً القرآن الكريم عالماً باللغة و النحو، فقيهاً بالأديان قوي الحجّة

في مجادلة الملل، و كان إلى جانب ذلك شجاعاً لا تلين له قناة، حج بيت الله الحرام غير مرة، و توفي في حمص).

(و أبو الحسن علي بن بطة الحلبي) كان من حفظة القرآن الكريم، و من جهابذة علم اللغة و النحو، حج البيت الحرام و صادف أن سافر ذات مرة إلى الإسكندرية فأسره القراصنة الإفرنج و باعوه في عكة، فما زال بالشخص الذي اشتراه حتى أسمى و علمه القرآن الكريم و حج به).

(و حيدر بن محمد القطيعي) كان من مشائخ الحديث، و قد أسلم على يده جماعة من نصارى بغداد و توفي في الكرخ عن ستين سنة، و دفن عند الإمام (أحمد بن حنبل).

(و عبد الرحمن الجرجري) كان قارئاً، قرأ القرآن الكريم برواية ورش، و عاصم، و نافع، و أسلم على يده تسعة من اليهود فحج بهم بيت الله الحرام.

و كان من علماء الإعلام (أبو زر سهل بن محمد الكاتب) أستاذ الملك سيف الدولة، و قد كان إلى جانب علمه و وفرة فضله أديباً بارعاً و شاعراً مجيداً، و من شعره، و هو مما أجازه المتنبي بأمر الملك سيف الدولة، قوله:

نفس الفداء لمن عصيت عواذ لي في حبه لم أخش من رقبائه

الشمس تطلع من أسرة وجهه و البدر يطلع من خلال قبائه

و من جهابذة علماء العلويين و كبار أئمة الفقه و الحديث في المسلمين (أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري) إمام الحفاظ و المحدثين و صاحب التصانيف التي لعلها تبلغ ألف جزء، جاب البلاد في رحلته العلمية، فسمع من نحو ألفي شيخ، و كان أعلام عصره كالصعلوكي، و الإمام ابن فورك، و سائر الأئمة يقدمونه على أنفسهم و يراعون حق فضله و يعرفون له الحرمة الأكيدة، و لا يرتابون في إمامته، و كل من تأخر عنه من محدثي السنة عيال عليه، و هو من أبطال الشيعة و سدنة الشريعة، تعرف ذلك كله بمراجعة ترجمته في كتاب (تذكرة الحفاظ) للذهبي، و قد ترجمه في الميزان أيضاً، فقال (إمام صدوق) و نصّ على أنه شيعي مشهور، و نقل عن ابن طاهر قال سألت أبا اسماعيل عبد الله الأنصاري، عن الحاكم أبي عبد الله فقال: إمام في الحديث رافضي خبيث) و ذكره أبو الفداء في تاريخه فقال كان من أهل

الدين و الأمانة و الصيانة و الضبط و التجرد و الورع لكن قال ابن الخطيب البغدادي، كان الحاكم يميل إلى التشيع و قال أبو عبد الرحمن السلمي دخلت على الحاكم و هو مختف من الكرامية لا يستطيع أن يخرج منهم فقلت له: لو أخرجت حديثاً في فضائل معاوية لاسترحت مما أنت فيه، فقال: لا يجيء من قبلي لا يجيء من قبلي.

و من كبار العلماء و الأدباء لا في العلويين فحسب بل في العلم العربي قاطبة (الوزير أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني) المعروف بالصاحب، المشهور بكافي الكفاة، قال أبو بكر الخوارزمي نشأ الصاحب بن من الوزارة في حجرها و دب و درج من وكرها، و وضع أفويق درها، و ورثها عن آبائه، كما قال أبو سعيد الرستمي في حقه:

ورث الوزارة كابراً عن كابر موصولة الإسناد بالإسناد

يروى عن العباس عباد وزارته و اسماعيل عن عباد

و قال الثعالبي في يتيمته في ترجمة الصاحب (ليست تحضرنى عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم و الأدب، و جلاله شأنه في الجود و الكرم، و تفرده بالغايات في المحاسن و جمعه أشنات المفاخر لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله و معاليه، و جهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله و مساعيه.)

و قال ابن خلكان، في ترجمته، هو أول من تسمى من الوزراء بالصاحب، و ذكر أن له مؤلفات جليلة، منها، كتاب المحيط، في اللغة، في سبعة مجلدات رتبه على حروف المعجم، و كان ذا مكتبة لا نظير لها، كتب إليه، نوح بن منصور، أحد ملوك بني سامان يستدعيه ليفوض إليه وزارته و تدبير أمر مملكته فاعتذر إليه ،بأنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربع مائة جمل فما الظن بغيرها.

و مما أورد الديلمي من شعر الصاحب في أمير المؤمنين(ع) و قيل للإمام الشافعي:

قيل لي في علي المرتضى مدحاً تطفئ ناراً موقده

قلت هل أمدح من في فضله حار ذو اللب إلى أن عبده

و النبي المصطفى قال لنا ليلة المعراج لما صعده

وضع الله على ظهري يداً فأراني القلب أن قد برده

و علي واضع أقدامه في مكان وضع الله يده

و من علماء العلويين، القاضي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي)
قاضي الأمير أبي العشائر الحمداني على إنطاكية، و هو الذي يقول في مدحه المتنبي :

ألقى الكرام الأولى بادوا مكارمهم

على الخصبي عند الفرض و السنن

إلى قوله:

الفاضل الحكم عي الأولون به

و المظهر الحق للساهي على الذهن

أفعاله نسب لو لم يقل معها

جدي الخصيب عرفنا العرق بالغصن

العارض الهتن ابن العارض الهتن

ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن

من أدباء العلويين (أبو الفتح عثمان بن جني النحوي) و يعرف عندنا (بابن يحيى النحوي) ذكره صاحب اليتيمة فقال: (هو القطب في لسان العرب و إليه انتهت الرئاسة في الأدب، صحب أبا الطيب دهرأ طويلاً و شرح شعره و نبه على معانيه و إعرابه، و كان الشعر أقل خلاله لعظم قدره و ارتفاع حاله).

و من أدباء العلويين (أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض) ذكره الثعالبي في يتيمة فقال : (كاتب سيف الدولة و نديمه، معروف ببعد المدى في مضمار الأدب و حلبة الكتابة أخذ بطرفي النظم و النثر، و كان الملك سيف الدولة لا يؤثر عليه في السفارة إلى الحضرة أهدأ لحسن عبارته و قوة بيانه، ذكره الصابي في الكتاب (التاجي) و مدحه السري بقصائد).

و من أدباء العلويين (السري بن أحمد الكندي، المعروف بالسري الرفاء) الذي يقول فيه الثعالبي في اليتيمة،(ما أدراك من السري صاحب سر الشعر الجامع بين نظم عقود الدر و النفث في عقد السحر، والله دره ما أعذب بحره و أصفى قطره و أعجب أمره، و قد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر و يعلق في كعبة الفكر، و ما أراني أروي أحسن و لا أشرف و لا أعذب و لا ألطف من قوله:

قسمت قلبي بين الهم و الكمد و مقلتي بين فيض الدمع و السهد

و رحت في الحسن أشكالاً مقسمة بين الهلال و بين الغصن و العقد

أريتنى مطراً ينهل ساكبـه من الجفون و برقاً لاح من بـرد

و وجنة لا يروي مأوها ظمأي بخلا و قد لذعت نيرانها كـبدي

فكيف أبقى على ماء الشؤون و ما أبقى الغرام على صبري و لا جلدي

و من شعره قوله من قصيدة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:

إذا تفكرت في مصابهم أتعب زند الهموم قاده

بعضهم قربت مصارعهم و بعضهم بعدت مطارحه

أظلم في كربلاء يومهم ثم تجلى و هم ذبائحهم

لا برج الغيث كل شارقة تهمي غواديه أو روائحه

على ترى حله ابن بنت رسول الله مجروحة جوارحه

ذل حماه و قل ناصره و نال أقصى مناه كاشحه

عفرتم بالثرى جبين فتى جبريل بعد النبي ماسحه

يطل ما بينكم دم ابن رسول الله و ابن السفاح سافحه

سيان عند الأنعام كلهم خاذله منكم و ذابحه

و من أدباء العلويين (أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، المعروف بالخباز البلدي) ذكره الثعالبي في يتيمة فقال: (هو من بلدة يقال لها بلد من بلاد الجزيرة التي فيها الموصل، و أبو بكر من حسناتها، و من عجيب شأنه أنه كان أمياً، و شعره كله ملح و تحف و غرر و ظرف و لا تخلو مقطوعة له من معنى حسن أو مثل سائر، و كان حافظاً للقرآن الكريم مقتبساً منه في

شعره) كقوله:

ألا إن إخواني الذين عهدتهم أفاعي رمال لا تقصر في لسعي

ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم نزلت بواد منهم غير ذي زرع

و كان يتمثل في شعره بما يدل على مذهبه كقوله :

انظر إلي بعين الصبح عن زللي لا تتركني من ذنبي على وجل

موتي و هجرك مقرونان في قرن فكيف أهجر من في هجره أجلي

و ليس لي أمل إلا وصالكم فكيف أهجر من في وصله أملتي

هذا فؤادي لم يملكه غيركم إلا (الوصي أمير المؤمنين علي)

كقوله : و حمائم نبهتني و الليل داجي المشرقين

شبهتهن و قد بكين و ما ذرفن دموع عين

بنساء آل محمد لما بكين على الحسين

و من ملح قوله:

إذا استتقلت أو أبغضت خلقا

و شرك بعده حتى التنادي

فشرده بقرض دريهـمات

فإن القرض داعية البعاد

القول في بعض أمراء العلويين القدماء

كان من سراة العلويين و عظمائهم الأمراء التنوخيون في اللاذقية، و ينتهي نسبهم إلى بني
(فهم) حي من قضاة القبيلة العربية المشهورة، و فيهم يقول أبو الطيب المتنبي في مدح (علي
بن ابراهيم التنوخي) من قصيدة:

قوم بلوغ الغلام عندهم طعن نحور الكماة لا الحلم

كأنما يولد الندى معهم لأصغر عاذر و لا هـرم

إذا تولوا عداوة كشفوا و إن تولوا صنيعة كتموا

تظن من فقدك اعتدادهم إنهم أنعموا و ما علموا

إن برقوا فالحتوف حاضرة أو نطقوا فالصواب و الحكم

أو حلفوا بالاغموس و اجتهدوا فقولهم خاب سائلي القسم

أو ركبوا الخيل غير مسرجة فإن أفخاذهم لها حزم

أو شهدوا الحرب لاقحاً أخذوا من مهج الدار عين ما احتكموا

تشرق أعراضهم و أوجههم كأنها في نفوسهم شيم

و كان من العظماء في سراة العلويين، (الأمير أبو الحسن رائق بن خضر الغساني) أمير الجنوب من طرابلس إلى طبريا، ثم ابنه (الأمير أبو بكر محمد بن رائق) و كان يدعى أمير الأمراء.

و كان من أمراء العلويين الشجعان و فرسانهم البواسل، (الأمير أبو الحسين بدر بن عمار بن اسماعيل الأسدي الطبرستاني) عامل الأمير (محمد بن رائق) على صور، و صيدا، و مرج عيون، و فيه يقول أبو الطيب المتنبي من قصيدته التي يروي لنا فيها قصته مع الأسد، و ذلك أن (بدرأ) هاج يوماً عن أسداً عن فريسته فوثب إلى كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط فصرعه، فقال ذلك أبو الطيب من قصيدة:

حذق يذم من القوائل غيرها بدر بن عمار بن اسماعيل

الفارج الكرب العظام بمثلها و التارك الملك العزيز ذليلاً

محك إذا مطل الغريم بدينه جعل الحسام بما أراد كفيلاً

نطق إذا حط الكلام لثامه أعطى بمنطقة القلوب عقولا

أعدى الزمان سخاؤه فسحا به و لقد يكون به الزمان بخيلا

و كأن برقافي متون غمامة هندية في كفه مسـولـا

و محل قائمه يسيل مواهبا لو كن سيلا ما وجدن مسيلا

رقت مضاربه فهن كأنما يبدين من عشق الرقاب نحولا

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا

هذه لمحة خاطفة عن بعض علماء و أدباء و أمراء العلويين الذين طوقوا جيد التاريخ بقلائد آثارهم، و ازدانت خزائن العلم و الأدب بلألئ علومهم و أشعارهم، و أني لهذا الموجز استيعاب ما تضيق عنه المجلدات الضخمة على سعتها من مآثر و مفاخر علماء العلويين و أدبائهم و أمرائهم الذين كان لهم القدح المعلى و المقام الأسمى بين رجال الفكر القدماء، و لا غرو إن حاروا قصب السبق في ميداني العلم و الأدب، و فيهم، الأمير عصمت الدولة محمد بن الأمير معز الدولة، و الأمير أبو عبد الله محمد بن العباس، و الأمير أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محرز، و الأمير أبو عبد الله محمد بن عسكر، و الأمير أبو القاسم هبة الله الرهاوي بن حسين، و أبو الحسين محمد بن حامد السراج، و أبو محمد عبد الله الكتاني، و أبو محمد عبد الله بن قتادة الفراء، و أبو عبد الله محمد بن مدلك الرقي الوراق، و أبو الفتح محمد بن الحسن القاضي المعروف بالقطيبي، و أبو محمد المعروف بالمهللي البغدادي، و أبو الفرج الكاتب العجلي، و أبو الحسن علي بن أحمد التلعفري، و أبو الحسن العقيلي، و أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحجاج الكاتب صاحب المجون، و ابراهيم بن عثمان بن المصطلق النعماني، و محمد بن اسماعيل الجزائري، و صفي الدين حيدر بن محور الفارقي المعروف بعبد المؤمن الصوفي.

و لولا خوف الإطالة لقدمت عدداً إضافياً من أولئك الأعلام الوضاعة في حوالك الأجيال الماضية و ما زالوا غرة في جبين الدهر، و موضع إعجاب الزمان و تقديره .

القول في بعض رجال الفكر المغمورين في العلويين

و إنني إذ أتيت على ذكر بعض من حضرني أسماؤهم من رجال الفكر البارزين في العلويين، أرى لا مندوحة لي من الإشارة إلى بعض من لا يقل عنهم خطراً، ولا يصغر عنهم قدراً، و لا يقصر عن اللحاق بهم في ميدان النشاط الفكري لو أتاح له جو السياسة الشعبوية الخانق فرصة الظهور على مسرح الحياة الحرة أمنأ مطمئناً، فكم من العلويين من علماء و فلاسفة و شعراء لهم في ذمة التاريخ حقوق واجبة، حيث أغفلهم و طمس على آثارهم إلا قليلاً تمرّد عليه فلم يستطع محوه، بل ظل حقيقة مكتننة في صدر الزمن مغطاة بنسيج وهمي من الخمول، سوف لا تلبث أن تنور تلك الحقيقة فتمزق ذلك الحجاب الواهي بيد التجدد و البروز، و تظهر إلى المجتمع العالمي صورة رائعة في العلم و الأدب و الإجتماع، و سنوضح في الفصل الثالث من هذا الكتاب بعض أسباب إغفال التاريخ ذكرهم و إغماض عينيه عن رؤية آثارهم الممتعة.

من أولئك العلماء الفلاسفة و الشعراء المغموط حقهم، الذين لو تبين الناقد آثارهم العلمية و الأدبية بعين الإنصاف و التجرد لاختار لهم أسمى منزلة في أجواء النبوغ و النباهة، و لعدّهم في الرعيّل الأول من رجال الفكر و الأدب.

السادة:

حسن بن حمزة الصوفي، و أبو الحسن علي بن حمزة بن شعبة و عماد الدين أبو الحسن أحمد بن جابر أبي العريض الغساني، و نصر بن معالي الخرقى، و الأمير حسن بن مكزون السنجاري، الجامع بين الإمارة و التصوف و العلم و الأدب و الفلسفة، و محمد منتجبالدين العاني، و جلال الدين بن معمر الصوفي، و عبد الله الناسخ البغدادي، و الأمير أبو الحسن علي

بن جعفر .

و كثير غيرهم من علماء العلويين و فلاسفتهم و شعرائهم الذين قلما يوجد الزمان بمثلهم، و لكل منهم أثر يدل عليه، فلبعضهم مؤلفات مخطوطة بالفلسفة الروحية و العلوم الإلهية، غاية في الجودة و الإتقان، و مثلها مع منكري وجود واجب الوجود لذاته مثل عصا موسى تلقف ما يأفكون، و لبعضهم من الشعر العربي الرائع ما لو أشرفت دراربه في سماء الأدب لأخفت كثيراً من الأصداف التي كتب لها الحظ بالبريق و اللمعان .

و إننا لنتمنى عليه سبحانه و ما ذلك عليه بعزیز، أن يقيض لهذه الآثار الخالدة و الدرر الفريدة منثورة و منظومة، ممن تتوفر فيهم الأهلية من يكرس وقته لجمعها و تنسيقها و ضبطها، إذ ربما أعوز بعضها الضبط و التهذيب لتوالي النسخ عليها و تفاوت أفهام ناسخها، ثم يقدمها إلى الجمهور الكريم ليطلع عليها فيحكم بما يشاء و عليه التبعة بحكمه، و ليظفر بمطالعتها و يجتني من ثمارها من كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد.

و إلى من التنزه في خمائل الآداب الممتعة ما تستوعبه هذه العجالة من الجمان النضيد و الدر النظيم، المصون في السهل الممتنع المغمور بماء الخلود النير.

من هذا اللؤلؤ الرطب ما نظمه الفيلسوف و الصوفي الشاعر الأمير (حسن بن مكزون السنجاري)منحه الله رضاه، في مدح آل البيت الطاهرين و الإشارة إلى عدل القرآن الكريم، و إلى إثبات حق أمير المؤمنين عليه و على نبيه الطاهرين السلام بالولاية، إذ يقول و كثيراً ما يقول:

قول الإله جل في كتابه على علي جاء نصاً قاطعاً

أنا الولي و رسولي و الذي أتى الزكاة في الصلاة راعياً

فخصه منه بوصف لم يكن بغيره في ما روود واقعاً

قوم بهم شفع الإله رسوله و كتابه بهم الرسول لقد شفع

أبروم في الإسلام حظاً من عدا أبوابهم و إلى معاديتهم رجع

لا و الهدى لم يهد من ناواهم يوماً و لا ضل الذي لهم اتبع

و من شعره في الحكم و الزهد و الغزل قوله:

طليق دموع لا يفك له أسر في منه عن كربه في الوغى الفـر

و كالميت حي دام في الذل راغباً عن العز بالعيش الذي حلوه مـر

و أي حياة ينعم البال طولها و دون المنى للمرء في مدها قصر

و شيب الفتى فيه انتهاء شبابـه و ستر عوار الشائب الهرم القبر

فرح منقفا عصر الشبيبة في العلى و قل لكبير المجد عمر الفتى مهر

فأول عمر المرء مضمار سبقه و ما فيه للواني ظهير و لا ظهر

فجد فما في الجد للمجد يافع و عن قصد بيض المجد لا تتنك السمر

و لا تحذر الأمر الذي هو صائر إليك فمنه عنك لن يغني الحذر

و من في ابتداء العمر لم يغد فاتحاً تغور المعالي لا يرام له نصر

فإن هبت أمراً لأغنى عن لقائه فلجه بقلب دونه يصدع الصخر

و خص غمرات الموت لا باخلا بما عليك بنزر منه قد أنعم الدهر

فلا خير في عز إذا كان مجتئى بذل و أي العز يجلبه الشر

و كن عالماً أن لا فرار من القضا و أين يفر المرء ممن له الأمر

و لا بد من ورد الردى فأغد سامياً بعزمك نحو الموت يسم لك الذكر

فكم من فتى ساد الكهول بجده و ما الصدر إلا من له إتسع الصدر

و أولى الورى بالمدح ممن عم فضله الأنام و منهم عم أنعامه الشكر و إن أشد
الناس ذماً لنفسه إذا افتخروا من بالرفات له الفخر

و كل غني بالكنوز فظاهر إلى ما به استغنى عليه بدا الفقر

و لم يسع في الدنيا لبيب لغير ما من الله في الاخرى يجاز له الأجر

و أغبى الورى من أزر الخلف بالذي يخلفه عفواً و يصحبه الوزر

عرض الحياة أقل ما يسمى له من جوهر العلياء بعض طلابه

و مواسم اللذات في عمر الفتى كالبرق أومض من خلال سحابه

بل إنما يسعى اللبيب لقوته— و لستر عورته و صون حجابه

لم يثنه عن ظل ضال طويلع و شرابه خدع الفلا بسرابه

* * * * *

سعي الفتى لسوى كفاف العيش غاية جهله

إذ فيه يخسر ما يؤمل ربحه من أجله

و الفقر لا يؤذي الفقير اذى الغني يبخله

إذ ذا يعان و ذا براد به الردى من نجله

* * * * *

ليت حادي مطيهم يوم سارا خفف السير بالقلوب الأسارى

أو رأى صحبة الجسوم التي استصبحت منها الإسماع و الإبصارا

و حبيب أودعته نور عيني فتولى و استودع القلب ناراً
سار يبدي تجلداً في اختيار السير لما سعى إليه اضطراراً
و يرغمي و رغمه أن نرى دار لذاذاتنا لشانيه داراً
و عزيز علي أن تقضي الأيام فيه لغيرنا الأوطاراً
و لو جدي أغار أن تقبل الأوطان من بعد أهلها الأغياراً
زادها الأنس و حشنة بسوى الأحباب عندي فازددت عنها نفاراً
لائمي في تهتكى في جُد على القلب بصبر أو فأقبل الأعذاراً
قد تسليت لو وجدت سلواً و تصبرت لو ملكت اصطبارة
و تسترت في الدنو و لكن كشف الحب بيننا الاسـتارا

* * * * *

ما زال يخيفني الغرام بحبكم حتى خفيت به عن الأوهام

و فنيت حتى لو تصورني الفنا لم يدر أين أبا و فيه مقامي

و هذا نموذج من غزل الشاعر المبدع، الشيخ (محمد منتخب الدين العاني) ذلك السحر الحلال
الذي تطير إليه القلوب و تهفو له الأسماع، (و إن من البيان لسحراً)

لعاذلي قلب و لي قلب مقيم في أثرهم نهب

تيممه الغيد فلا لومة نثنيه عنهن و لا عتب

ما تفعل البيض و سمر القنا يوم الغي ما يفعل الحب

لله أقمار تبدت على غصون بان تحتها كذب

تقاسموا لبي غداة النوى و ليس لي منذ نأوا لب

فلي فؤاد قد براه الأسى و مدمع من بدهم سكب

و صاحب قلت و قد هب من رقده و الشرب قد هبوا

قم فاسقينها كنجيع الطلى وردية هام بها القلب

و صبها أطفئ بها غلتي فإنني مغرى بها صب

فاستلها من دنها شعلة لألأؤها في الكأس لا يخبو

مسكية الأنفاس عانية لو لامسوا شيباً بها شبوا

مطلعها الراوق إذ كأسها شرق لنا و الحاسي الغرب

كان ساقها و قند أقبلت و كفه من تحتها قطب

بدر دجي يحمل شمس ضحى و قد بدت من حولها الشهب

* * *

و رب أطلال عفاها البلى فهي كأرض ميهها جذب

ما ضحك البرق بأرجائها إلا بكت في جوها السحب

يندبني الشوق لأبكي بها و ليس يجدي النوح و الندب

خلت فلا سعدى و لا زينب بها و لا ليلي و لا عتب

خال بها الحال و أبلى البلى جديدها و انصدع الشعب

بالأمس سرب من أنيس الطبا و اليوم من وحش الفلا سرب

كان ما بين رسوم لها و بين أحداث الردى حرب

قلت لصحبي حين هاج الجوى بي لومهم ما هكذا الصحب

دعوا ملامي فلكم في الهوى شعب و لي من دونكم شعب

هذا غيض من فيض، و يسير كثير، مما تركه بعض أدباء العلويين الذين ضنّ عليهم الزمان بالشهرة، و بخل عليهم بالظهور، مع ما هم فيه و عليه من رفعة المقام الأدبي.

و كم كنت مسروراً لو اتسعت عجالتى هذه و سمح لي وقتي، و بكلمة أولى، لو أوتيت قوة القيام بواجب كان و ما زال يعتلج به صدري، و يهفو له جناني، ألا وهو استخراج كنز ثمين من العلوم و الآداب العلوية، مدفون تحت جدار من حديد أقامته عليه سياسة الجور في العصور المظلمة، و تقديمه إلى الجمهور الكريم:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

و لكن مثل هذه الثروة الممتعة من العلم و الأدب، و قد لعبت بها أيدي الجهل و الأمية، و عبثت بها ألسنة الفساد و الطغيان و مزقتها سياسة الظلم في ما مضى شر ممزق، يحتاج جمعها و تهذيبها إلى سعة في الوقت و الإطلاع، و أتى لي ذلك.

و إنني لأكتفي الآن بما نلته من هذا الغرض و في ذمة القدر تحقيق ما بقي في نفسي من رجاء.

الأدوار التاريخية التي تعاقبت على العلويين

سبق أن قلنا أن كلامنا عن العلويين يتناولهم منذ قيام الدولة الحمدانية في حلب، و لذا نرى لزاماً علينا التبسيط في معرفة نشأة تلك الدولة و العصر الذي نشأت فيه، و معرفة مدى قوتها و اتساع حدودها و عظمة رجالها.

لقد تكلم المجتهد الأكبر السيد (محسن الأمين) أعلا الله مقامه، عن الدولة الحمدانية في كتابه (أبو فراس الحمداني) ما نصه:

(كان عصر الحمدانيين عصرًا قد انقسمت فيه المملكة الإسلامية المترامية الأطراف إلى ممالك وإمارات جلها غير عربية، فكانت خراسان و ما و الأهبيد السامانيين، و ما وراء النهر بيد الغزنويين و كلتا الدولتين غير عربية، و بغداد و فارس بيد البويهيين و هم من الفرس، و الخلافة العباسية في بغداد لا حول لها و لا طول، و إنما لها الخطبة و المشاركة في السكة في البلاد الإسلامية الشرقية، و الشام و مصر بيد الإخشيديين و هم أتراك و أفريقيًا و المغرب بيد الفاطميين، و الأندلس بيد الأمويين .

فأنشأ الحمدانيين مملكة إسلامية عربية في الموصل و ديار بكر و ديار ربيعة و الجزيرة و حلب و العواصم إلى لبحر المتوسط شمالاً، و إلى مملكة الروم و قاعدتها القسطنطينية شرقاً، و إلى فلسطين و دمشق غرباً، فردوا غارات الروم و أغاروا على بلادهم و فتحوا كثيراً منها و الروم يومئذ في قوتهم، و قهرروا القرامطة و الخوارج الشراة كهارون الشاري و غيرهم، و تسلطوا على الأكراد و أخضعوهم، و أخضعوا قبائل العرب المنتشرة في الجزيرة و بادية الشام صاحبة العدد الكثير و القوة و أدخلوها في طاعتهم، و حاربوا الإخشيديين في الشام و أخذوا منهم دمشق ثم عادوا إليها بمخامرة أهلها، و كانت هذه المملكة منقسمة بين ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان، و أخيه سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان، و كان لناصر الدولة الموصل و الجزيرة، و لسيف الدولة حلب و العواصم و ما إليها، و كان ناصر الدولة لا يخلو من منازعة البويهيين له، و سيف الدولة يحارب الروم غالباً، و سيد بني حمدان و رئيسهم سيف الدولة، و وزيره و قائده الأول و محل اعتماده في الحروب و قيادة الجيوش و حماية المملكة أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان، و لم يكن سيف الدولة و أبو فراس طالبي ملك صرف و إمارة محضة، بل كان لهما باعث ديني و غيرة وطنية يبعثها على حماية المملكة و حفظها، فسيف الدولة يجمع من غبار غزواته للروم التي كان يقصد منها رد عاديتهن عن بلاده لبنة و يوصي أن توضع تحت رأسه في قبره، و أبو فراس يقول لسيف الدولة:

فأحوط للإسلام أن لا يضيعني و لي عنه فيه حوطة و مثاب

و إن رجلاً كسيف الدولة و ابن عمه أبي فراس يستطيعان انشاء دولة قوية عربية إسلامية نمت في ظلها العلوم العربية و الإسلامية و الأدب العربي نمواً فائقاً في عصر تفككت فيه عرى الإسلام و العروبة، و في بقعة محاطة بالروم من جهة و بالإخشيديين و البويهيين الأقوياء من جهات أخرى، و مشحونة في داخلها بدعايات القرامطة و الخوارج و فتنهم، و بغزوات

الأكراد و القبائل العربية و فسادهم، لرجلان فريدان عظيمان خُذ التاريخ ذكرهم في صفحاته
بالعز و الفخر. انتهى

ذكر الملك سيف الدولة و بعض وقائعه و غزواته

وُلد الملك سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان العدوي التغلبي، سنة ثلاث و ثلاثمائة(هـ) في بيت يكتنفه المجد و تحيط به عزة الإمارة، و ما إن بلغ أشده حتى اعتلا ذروة الفخار، فملك (واسطاً) و نواحيها، ثم تقلبت به الأحوال فملك(حلب الشهباء) و اتخذها قاعدة ملكه بعد أن انتزعها سنة ثلاثمائة و ثلاثٍ و ثلاثين(هـ) من يد أحمد بن سعيد الكلابي عامل الإخشيديين عليها.

و قد قال فيه أبو الفداء في تاريخه سيف الدولة أحد الأمراء الشجعان و الملوك الكثيري الإحسان على ما فيه من تشيع، و قد ملك دمشق في بعض السنين، و أتفق له أشياء غريبة، منها: أن شاعره كان أبا الطيب المتنبي، و منها، أن مطربه أبا نصر الفارابي، و كان سيف الدولة كريماً جواداً معطياً للجزيل، إلى أن قال: وُلد سنة ثلاث و قيل إحدى و ثلاثمائة، و إنه ملك(حلب) بعد الثلاثين و الثلاثمائة، و قبل ذلك ملك(واسطاً) و نواحيها، ثم تقلبت به الأحوال حتى ملك حلب انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابي صاحب الإخشيد (انتهى).

و فيه يقول الثعالبي في يتيمته، كان سيف الدولة رضي الله عنه و أرضاه، و جعل الجنة مأواه، غرة الزمان و عماد الإسلام، و من به سداد الثغور و سداد الأمور، و كانت وقائعه في عصاة العرب تكف بأسها و تنزع لباسها و تفل أنيابها و تدل صعابها و تكفي الرعية سوء آدابها، و غزواته تدرك من طاغية الروم الثأر، و تحسم شرهم المثار و تحسن في الإسلام الآثار، و حضرته مقصد الوفود و مطلع الجود، و قبلة الآمال و محط الرحال و موسم الأدباء و حلبة الشعراء، و يقال أنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر و نجوم الدهر، و إنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها، و كان أديباً محباً لجيد الشعر لجيد الشعر شديد الاهتزاز له، و من ملح شعره ما قاله في وصف قوس قزح و هو أحسن ما سمعته فيه على كثرتة، و هذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها (السوقة) و هاك قوله:

و ساق صبيح للصبح دعوته فقام و في أجفانه سنة الغمض

و قد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجود كناً و الحواشي على الأرض

يطوف بكاسات العقار كأنجم فمن بين منقض علينا و منفض

يطرزاها قوس الغمام بأصفر على أحمر في أخضر تحت مبيض

كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة و البعض أقصر من بعض

قلت: إن هذا الوصف لما ينطق عليه قول القائل(كلام الملوك ملوك الكلام).

و يقول الشيخ ناصيف اليازجي في تعريف الملك سيف الدولة منذ ذكر إتصالي بالمتنبي في إنطاكية، ملخصاً عن وفيات الأعيان.

(كان سيف الدولة ملكاً على حلب انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابي، سنة ثلاثمائة و ثلاث و ثلاثين هـ) و بعد التحدث عن أدبه و اتصال الأدياء به و عرض شيء من شعره قال كانت ولادته سنة ولادة المتنبي و هي سنة ثلاث و ثلاثمائة هـ) إلى أن قال و لم يكن في الملوك أغزى منه حتى أنه كان قد جمع من نفص الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئاً و عمل لبنة بقدر الكف و أوصى أن يوضع خده عليها في لحده فنفضوا) انتهى.

و إحياء لذكرى عظمائنا العرب و ذكر أمجادهم الخالدة نرى لزماً علينا الإشارة إلى وقائع سيف الدولة الكثيرة، و عرض بعض غزواته المظفرة، فقد وقف نفسه لرد غارات الروم المتكررة على بلاده، و وطّد عزمه على غزوه فلم يكن ليستريح من غزوة حتى يتنهي لأخرى، و لم يكن لينتقل من فتح إلا إلى فتح ينتظره، و قد توغل في بلاد الروم غازياً فاتحاً حتى غزا (سمندو) و هي التي عرفها الشيخ ناصيف اليازجي في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي عند ذكره إياها بقوله:

رضينا و الدمستق غير راض بما حكم القواضب و الوشيح

فإن يقدم فقد زرنا (سمندو) و إن يحجم فمعدنا الخليج

قال الشيخ ناصيف اليازجي(سمندو) و يقال لها(سمندوة) قلعة بالروم يقال هي المعروفة اليوم(ببلغراد).

و قال صاحب اليتيمة، يقال أن سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة له و عليه ،فمنها: أنه أغار على زبطرة، و غرقة، و ملطية، و نواحيها، فقتل و أحرق و سبى، و انثنى قافلاً إلى،درب موزار، فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق ،فأوقع به، و قتل صناديد رجاله و عقب إلى بلدانه، و قد تراجع من هرب منها ،فأعظم القتل و أكثر الغنائم و قد عبر الفرات إلى بلد الروم و لم يفعله أحد قبله، حتى أغار على، بطن هنزيط، فلما رأى فردس بعد مغزاه و خلو بلاد الشام منه، غزا نواحي إنطاكية، فأسرى سيف الدولة لا ينتظر متأخراً و لا يلوي على متقدم حتى عارضه بمرعش، فأوقع به و هزمه و قتل رؤوس البطارقة و أسر قسطنطين بن الدمستق، و أصابت الدمستق ضربة في وجهه، و أكثر الشعراء في هذه الواقعة ,و فيها يقول أبو الطيب المتنبي التي مطلعها:

لكل امرئ من دهره ما تعودا و عادة سيف الدولة الطعن في العدا

و قال الشيخ ناصيف اليازجي في ذكر بناء(الحدث) لبنائها، و كان أهلها قد سلموها إلى الدمستق بالأمان سنة سبع و ثلاثين و ثلاثمائة هـ ، فنزلها سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادي الأخرى سنة ثلاث و أربعين و ثلاثمائة هـ ، و بدأ من يومه فوضع الأساس و حفر أوله بيده، فلما كان يوم الجمعة نازله ابن الفقاس الدمستق في نحو خمسين ألف فارس و راجل، و وقع القتال يوم الاثنين سلخ جمادي الأخرى من أول النهار إلى العصر، فحمل عليه سيف الدولة بنفسه في نحو خمسمائة من غلمانه فظفر به و قتل ثلاثة آلاف من رجاله و أسر خلقاً كثيراً فقتل بعضهم و أقام حتى بنى الحدث و وضع بيده آخر شرفة منها ,في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، فأكثر الشعراء في هذه الواقعة.)

و فيها يقول أبو الطيب قصيدته التي مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم و تأتي على قدر الكرام المكارم

و غزوات سيف الدولة توسيعاً لرقعة ملك العرب في أرض الروم و مواقفه المجيدة ذوداً عن حياض الوطن و ببضة الدين لرد غاراتهم المتكررة الأكثر من أن تستوعبها هذه الصفحات، و قصارى القول أن من الفضول الإسهاب في تقديم شخصية سيف الدولة إلى القراء و هي التي عرف التاريخ فيها معاني الإجلال و التقدير فسجلها على صفحاته الخالدة الغر بكل فخر و اعتزاز.

حال العلويين في ذلك العهد و ذكر العهد بعض أمرائهم

في غضون ذلك العهد الميمون أمن الساحل السوري من غوائل الغزاة الإفرنج رغم توالي غزواتهم عليه، و التي كانوا في أيها ينكصون على أعقابهم مذمومين مدحورين بفضل ما كان من روابط قومية و اجتماعية و أواصر ود و قرى و توثق عرى صداقة و ولاء بين هذا الملك الغازي و بين ولاية ثغور الساحل الأشداء، و بتماسكهم للذود عن حوضه تماسكهم بالولاء لآل البيت الطاهرين عليهم السلام، و بإجماعهم على حمايته إجماعهم في الأذان على (حي على خير العمل).

فقد كان على إنطاكية الأمير أبو العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان، و على اللاذقية الأمراء التنوخيون، و في طليعتهم الأمراء، محمد و حسين ابنا إسحاق التنوخي، و علي و معاذ ابنا ابراهيم التنوخي، و على الجنوب من طرابلس إلى طبرية الأمير أبو الحسن رائق بن خضر الغساني، ثم ابنه الأمير محمد بن رائق المعروف بأمرير الأمراء، و كان عامله على صور و صيدا و مرج عيون الأمير بدر بن عمار بن اسماعيل، و جلهم مدحه المتتبي و قد مر بنا ذكرهم في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

و رغم ما حاق بالعلويين في تلك الآونة من نقص في النفوس و في الأموال و الأملاك بسبب صد غارات الروم و غزوات الإفرنج المتتالية من جهة، و العمل لإخماد الاضطرابات الداخلية كفتن الأكراد و البدو و الخوارج الشراة من جهة ثانية، مما سبب ضعفاً و قلة في العلويين و عددهم، فإن العلوي يعتبر ذلك العهد من أخصب و أروع عهود تاريخ حياته، لأن حكمه نفسه بنفسه و استعلاء كلمة دينه و مذهبه على يده كانا ينسيانه آلام القتل و التخريب و مشاق الأسر و الأسفار، و يجددان فيه العزم و النشاط، فيقبل على الجهاد و التضحية بقوة لا تعرف الخور، و عزائم لا يتسرب إليها الانحلال.

وفاة الملك سيف الدولة

و في سنة ثلاثمائة و ست و خمسين(هـ) توفي الملك سيف الدولة في حلب و كان سبب موته الفالج، و قيل: عسر البول، و حمل تابوته إلى (ميفارقين) فدفن فيها، و عمره ثلاث و خمسون سنة.

قيام الملك سعد الدولة و مقتل أبي فراس

بعد وفاة الملك سيف الدولة قبض على زمام الحكم في المملكة و استولى على مرافق الحياة العامة في الدولة و تولى إدارة الملك و تصريف أمور البلاد بعده، ابنه الملك(سعد الدولة) أبو المعالي شريف، و لكنه لم يتمكن من ضبط أحوال الأمة و لا أحسن التصرف في شؤون الرعية، فلم يستقم له الأمر كأبيه، إذ لم تكن له إرادة أبيه و حكمته، و بدلاً من أن يتفرغ لتوسيع رقعة ملكه و يدفع خطر غارات الروم عن بلاده، وقف نفسه لكبح جماح الأمراء الطامعين بما في أيديهم من إمارات، و لتهدئة الأحوال الداخلية التي أثارها عليه أولئك الأمراء و ساعدهم ضعفه و تهاونه في أمر الرعية، و لا أدل على خرق سياسته و سوء تدبيره من العمل لقتل خاله و ابن عم أبيه الأمير أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان، الذي قامت على قوائم سيفه عمداً مملكة الملك سيف الدولة، و قد اختلف المؤرخون في كيفية قتله، فابن الأثير يقول في حوادث

(357هـ) في هذه السنة في ربيع الآخر قتل أبو فراس بن أبي العلاء سعيد بن حمدان، و سبب ذلك أنه كان مقيماً بحمص فجرى بينه و بين أبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان وحشة، فطلبه أبو المعالي فانحاز أبو فراس إلى (صدد) و هي قرية في طرف البرية عند حمص، فجمع أبو المعالي الأعراب من بني كلاب و غيرهم، و سيرهم في طلبه مع(قرعويه) فأدركه بصدد فكبسوه، فاستأمن أصحابه و اختلط هو بمن استأمن منهم، فقال قرعويه لغلام له اقتله، فقتله و أخذ رأسه و تركت جثته في البرية حيث دفنها بعض الأعراب و لقد صدق من قال إن الملك عقيم) انتهى.

و قال ابن خالويه في شرح ديوان أبي فراس، لما مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلب على حمص فاتصل خبره بأبي المعالي و غلام أبيه قرعويه فانفذ إليه منت قاتله، إلى أن قال: و بلغني أن أبا فراس رضي الله عنه أصبح يوم مقتله كئيباً و كان قلقاً في تلك الليلة و رأته ابنته امرأه أبي العشائر و هو على تلك الحال فأحزنها حزناً شديداً ثم ركب على الحال فأنشأ يقول و رجليه في الركاب و الخادم يضبط عليها السير، و إنما قال ذلك كالذي ينعي نفسه و إن لم يكن من قصده ذلك قال رحمه الله:

أبنيتي لا تحزني كل الأنعام إلى ذهاب

أبنيتي صبراً جميلاً للجليل من المصاب

نوحى علي بحسرة من خلف سترك و الحجاب

قولي إذا ناديتني و عييت عن رد الجواب

زين الشباب أبو فراس لم يمتع بالشباب

ثم سار فلقى قرعويه فكان من أمره ما كان، و هذا آخر ما قاله من الشعر فيما بلغني ، انتهى.

و قال ابن خلكان: ذكر ثابت بن قرّة الصابي في تاريخه قال: جرت حرب بين (أبي فراس) و كان مقيماً بـحمص، و بين (أبي المعالي شريف بن سيف الدولة) و استظهر عليه أبو المعالي و قتله في الحرب و أخذ رأسه و بقيت جثته مطروحة في البرية إلى أن جاء بعض الإعراب و كفنه و دفنه، و قال غيره: لما قتله قرعويه لم يعلم به أبو المعالي، فلما بلغه الخبر شق عليه، انتهى.

و قال السيد (محسن الأمين) في كتابه: (أبو فراس الحمداني) و الصواب أن الذي قتله (قرعويه) و أن أبا المعالي لم يعلم بقتله إلا بعد وقوعه إلى أن قال: و من المؤسف أن يكون أبو فراس الأمير الشجاع الكبير النفس العالي الهمة العربي الصميم، يقتل بيد غلام مملوك لـغلام مملوك، و ما أحسن و أصدق قول المتنبي كما في البيّمة:

فلا تتلك الليالي أن أيديها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب

و لا يعن عدواً أنت قاهره فإنهن يصدن الصقر بالخرب ضعف الدولة الحمدانية و جلاء سعد الدولة عن حلب

بعد مقتل أبي فراس أخذ يدب الضعف و الوهن في جسم الدولة الحمدانية، و تقوى روح الشقاق و التمرد في الرعية، إلى أن بلغ من جراء ذلك أن ثار (قرعويه) الغلام المذكور آنفاً على الملك سعد الدولة نفسه، سنة (٣٥٩هـ) و استحوذ على حلب و أخرجه منها خائفاً يترقب، فسار إلى (طرف) و هي تحت حكمه فأبى أهلها أن يمكنوه من الدخول إليهم، فذهب إلى أمه في (ميافارقين) و أمه بنت سعيد بن حمدان أخت أبي فراس، فمكث عندها حيناً، ثم سار إلى (حماه) فملكها و سعى في عمارة (حمص) التي كان خربها ملك الروم سنة (٣٥٩هـ) فيما خرب من البلدان الساحلية، كما في تاريخ أبي الفداء و ذلك أن ملك الروم دخل إلى طرابلس فأحرق و سبى و قتل منها خلقاً كثيراً، و كان صاحب طرابلس قد أخرجه منها أهلها لظلمه، فأسره الروم و استحوذوا على جميع أمواله و حواصله و كانت كثيرة جداً ثم مالوا على السواحل فملكوا ثمانية عشر بلداً سوى القرى، و تنصّر خلق كثير على أيديهم، و جاؤوا إلى (حمص) فأحرقوا و نهبوا و سبوا، و مكث ملك الروم شهرين يأخذ من البلاد ما أراد، و يأسر من قدر عليه و صارت له مهابة في قلوب الناس، ثم عاد إلى بلده و معه من السبي نحو من مائة ألف ما بين صبي و صبية، و بعث سرية إلى الجزيرة فنهبوا و سبوا، و عاد الروم إلى إنطاكية فملكوها و قتلوا خلقاً كثيراً من أهلها، و ركبوا إلى حلب، و أبو المعالي محاصر قرعويه الذي انتزعه ملكه كما تقدم، فخافهم و هرب عنها، فحاصرها الروم و أخذوا البلد و امتنعت عليهم القلعة، ثم اصطلحوا مع (قرعويه) على هدية و مال يحملهم إليهم كل سنة، و سلموا إليه البلد و رجعوا عنه، و في عودة أبي المعالي عن حلب هرباً من ملك الروم رجع إلى عمارة

(حمص) و بعد أن أتم ترميمها سكنها إلى أن كانت سنة (٣٦٦هـ)، اختلفت الأمور على قرعويه فكتب أهل حلب إلى أبي المعالي و هو في حمص أن يأتيهم، فسار إليهم و حاصر (قرعويه) في حلب أربعة أشهر ثم افتتحها .

انهيار الدولة الحمدانية و قيام الدولة المرديسية

مات سعد الدولة و خلفه على المملكة ابنه (سعيد الدولة، أبو الفضائل) الذي اضطربت في عهده

نار الفتن فعجز عن إخمادها، و كثرت حوادث الشغب و الاضطرابات الداخلية فلم يستطع ضبط الأحوال و لم يحسن تصريف الأمور، و كانت قبائل البادية و في مقدمتها قبيلة بني مرداس تلعب دوراً هاماً في حقل إثارة الشغب على المليك الواهي و حمل الأمة على شق عصا الطاعة عليه، و قد اغتتم المرادسيون ضعف الحمدانيين، و بنوا دولتهم على أنقاض تلك الدولة المترامية الأطراف التي كان يخشى بطش رجالها ملك الروم على عرشه.

و باستيلاء المرادسيين على حلب أخذ التاريخ يغفل ذكر العلويين و يطمس عليهم، إذ ما من ريب أن التاريخ حليف المنتصر، و من مآثر الحكم في هذا الباب قول أمير المؤمنين علي عليه السلام، (إذا أقيمت الدنيا على امرئ أعارته محاسن غيره و إن أدبرت عن امرئ سلبته محاسن نفسه).

و لهذا فقليل من نجده يتكلم عن العلويين و إذا تكلم فقليلاً ما ينصف.

سقوط الدولة المرادسية و استيلاء الدولة الفاطمية على حلب و حال العلويين فيها

في سنة أربع مائة و تسع عشرة جاء جيش كثيف من مصر إلى حلب و عليها الملك (أبو علي صالح مرداس بن إدريس الكلابي) الذي لقب نفسه (أسد الدولة) ثم قام بعده على حلب، حفيده (نصر) المعروف بـ (شيل الدولة) و ما زالت الدولة المرادسية في حلب إلى سنة أربع مائة و تسع و عشرين هـ حيث قتل الجيش المصري الفاطمي (شيل الدولة) هذا آخر ملوك بني مرداس، و استولى المصريون على حلب و أعمالها، و ضموا إلى ملكهم في مصر كما ضموا الشام من قبل.

ساهم العلويون فعلاً بتقوية روح الدعوة الفاطمية و عملوا بكل ما أوتوا من قوة لنجاحها و إيصالها إلى النفوس و نشرها في البلاد، اعتقاداً منهم أن الخلافة حق أبناء فاطمة، و قد أن لهذا الحق المغتصب أن يعود لأهله، و تخلصاً من حكم الدولة المرادسية التي سلبتهم سلطانتهم، فأسرعوا إلى البيعة يتفياؤن ظلال دولة علوية، مكتفين بإعلان شعائرهم الدينية و إعلاء كلمة مذهبهم الولائي، و كلهم عيون متطلعة و آمال باسمه للمستقبل الذي عملوا لازدهاره و فزعوا من حاضرهم إليه، فلم يضمنوا بثمين في سبيله و لا رغبوا بشيء عنه، ينشدون الراحة في أفيائه، و الحرية ترف عليهم من أجوائه، فيحيون حياة تنسيهم آلام حاضرهم و تعيد إليهم ذكرى ماضيهم الطيبة العبير، و لكن في القدر ما لم يكن في حسابهم.

لقد تنكر الفاطميون لإخوانهم العلويين و جردوهم من مناصب الدولة، و نعموا بمرافق البلاد و خيراتها، و استأثروا بالحكم دونه، و لم يقف الأمر بهم دون ادعاء الخلفية الفاطمي العصمة لنفسه و اعتقاد تابعيه ذلك فيه، مما لا يتفق و اعتقاد العلويين، إذ لا عصمة عندهم بعد الأنبياء و الرسل لغير الأئمة الإثني عشر عليهم السلام فأصبحوا متفقين مع الفاطميين في المبدأ و مختلفين بالغاية.

و لما لم يجد العلويون ضالتهم المنشودة عند إخوانهم الفاطميين و ينسوا من إنصافهم إياهم، انكمشوا على أنفسهم و انطوا على ذواتهم، و آثروا الطاعة لا جبناً و ذلاً و هم العرب الأباة الذين تعودوا ممارسة الحروب و قيادة الجيوش، و لزموا السكينة تجنباً للفتنة و هم الذين عاشوا في بيئة مشحونة بالخصومات و الاضطرابات، و لكنهم إذ لزموا الهدوء فلأن الندم على مسارعتهم للبيعة عن غير تدبر و روية أوجد فيهم ذهولا عن أنفسهم سد عليهم مذاهب تفكيرهم و شغلهم عن تلمس أسباب النجاة، و إنا كثيراً ما نرى إنساناً أي إنسان إذا أقدم على أمر خطير تعقبه ندامة يفقد صوابه و يضطرب حبل تفكيره، فلا يبصر أئى يضع قدمه و لا يعرف ما يصنع و بمقدار خطورة الأمر و مبلغ تأثيره منه يكون ذهوله عن نفسه و انشغاله عن إصلاح حاله.

و قصارى القول فإن العلويين بالرغم من حسن بلائهم لإعلاء كلمة إخوانهم الفاطميين و استجابتهم دعوتهم و العمل لتوطيد دعائم ملكهم لم يجدوا لديهم ما تتلج به و ترتاح إليه نفوسهم إلا اعتلاء مذهبهم الولائي الذي بلغ أوجه في ظلال تلك الدولة، و إلا ازدهار العلوم و الآداب و السياسة في غضوناتها، أما ما كانت تصبو إليه نفوسهم من متع الحياة و سعادتها و لذائذ الحكم و مشتهياته فلم يظفروا بشيء منه، بل على العكس فقد قلبوا لهم ظهر المجن، و أقصوهم عن الحكم، إلا بعض الأمراء الحمدانيين الذين نشأوا في مصر من أبناء الملك ناصر الدولة الحسن بن عبد الله الحمداني ملك الموصل، نذكر منهم الأمير ناصر الدولة أبا علي الحسن بن حمدان. كان الأمير ناصر الدولة شجاعاً عاقلاً نشأ في مصر و ولي فيها قيادة جيوش المستنصر العلوي، و في أيامه اختل حال المستنصر و قوي الأتراك، فطلبوا إخراج ناصر الدولة من مصر، فأرسل إليه المستنصر يأمره بالخروج، فخرج إلى الجيزة ثم إلى بني سنيس، فلحقت به العساكر تريد إقصاءه، فقاتلها و هزمها و عظم أمره فاستولى على الريف و قطع الميرة عن مصر براً و بحراً، فأصابها ضيق شديد و غلاء و وباء فكاتبوه في الصلح فأجاب إليه، ثم كان له الأمر و النهي في القاهرة، و رتب للمستنصر في اليوم مائة دينار، و أقام على مدة إلى أن ائتمر به جماعة من قواد الأتراك فقتلوه غيلة عام (٤٦٥ هـ) في دار له على النيل كانت تعرف بمنازل العز و ما زالت هذه حال العلويين مع إخوانهم الفاطميين إلى أن دالت دولتهم، و طوى الأيوبيون صفحتها بظهورهم على مسرح الحكم.

سقوط الدولة الفاطمية و قيام الدولة الأيوبية

و حال العلويين فيها

استولى الأيوبيون على مصر سنة (٥٦٩هـ) و أزالوا شعار الفاطميين، و قضوا على عاداتهم و تقاليدهم، و منعو الأذان بـ(حي على خير العمل) و عزلوا قضاة الشيعة و استنابوا قضاة شافعيين، فساءت حال العلويين و قُت في عضدهم، و انتقلوا من سيء إلى أسوأ، و لما سُقط في أيديهم و رأوا أنهم قد حرّموا من حرية اعتقادهم أقدس أمانيتهم في الحياة و أغلى ما لديهم من ثمين، اخلدوا إلى السكنية إشفاقاً على نفوسهم و حرصاً على وحدة صفوف الأمة أن يعتورها التفكك و الانحلال، و هم في وقت أحوج ما يكونون إلى التضامن درءاً لخطر جيش الصليبيين عدو البلاد المشترك، و قمعاً لفتن القرامطة المشبوبة نارها على العلويين خاصة، أثارها عليهم موقظوا عين الفتنة خشية التقاتم على صعيد سياسي واحد التقاءهم على اسم التشيع، و قد سبق أن التقوا سنة (٣٥٣هـ) حيث قصد القرامطة أخذ مدينة طبرية من يد الإخشيد صاحب مصر و الشام، و طلبوا من الملك سيف الدولة أن يمدّهم بحديد يتخذون منه سلاحاً، فقلع لهم أبواب الرقة و كانت من حديد صامت، و أخذ لهم من حديد الناس حتى أخذ لهم أواقى الباعة من الأسواق و أرسل إليهم بذلك كله إلى أن قالوا له اكتفينا.

فرأى القائمون بتصريف أمور الدولة أن في إيقاد نار الفتنة بين العلويين و القرامطة إبقاء على عرشهم، فأوقعوا بينهم و أجادوا إحكام حبل الواقعة، فتمزقت صفوفهم و تحكمت العداوة و البغضاء في نفوسهم و قعدوا لبعضهم كل مرصد، فقرت عيون الفاتحين و اطمانت قلوبهم و قد كان ملكها عليهم الذعر من التقاء فرق الشيعة في البلاد عداوتهم، كيف لا، و لما تمّح من مخيلاتهم صورة كتاب المقدم (راشد الدين بن سنان) إمام الطائفة الإسماعيلية، إلى الملك، (نور الدين محمود)، و قيل إلى الملك، (صلاح الدين يوسف بن أيوب)، و من بعض ما جاء فيه إذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد و من حالك على اقتصاد، و اقرأ أول النحل آخر صاد.

و ما هذا إلا واحداً من كثيراً من الكتب المفعمّة بلغة التهديد و الوعيد، فأيقن ولاية الأمر بالمثل القائل (من مصلحة الحاكمين اختلاف المحكومين) فعمدوا إلى توسيع شقة الخلاف بينهم ما اتسع لهم الحال.

كان موقف العلويين آنذاك بالغ الخطورة و الرهبة، فهم بين نارين ملتهبتين، عسف الولاية و

عاديات القرامطة، و أنكأ من هذا كله عجزهم عن درء أي الخطرين قبل وضع الحرب الصليبية الإسلامية أوزارها، لأن الواجبين الديني و الوطني كانا يقضيان عليهم بالتعاون و لو مع مبغضيههم لاستنفاد البلاد من أيدي الغزاة الطامعين و إقصاء الدخيل الأجنبي عنها، فنسوا مصالحهم الخاصة و تناسوا أحن جيرانهم و سوء معاملتهم في سبيل المصلحة العامة، و أبلوا في تلك الحرب الضروس بلاء حسناً، تلك الحرب التي كادت تأتي عليهم لوجودهم جغرافياً في أتونها الملتهب، فقاتلوا قتال المستميت ذوداً عن مقدسات دينهم و مقرات بلادهم و دفاعاً عن نفوسهم:

و لم يكن العلويون خلال توقف حملات الصليبيين لاستعادة نشاطهم العسكري في أمن و راحة، بل كانوا على العكس في حرب مع القرامطة الذين ما فتئت تحركهم أصابع الفتنة في الخفاء و تساندهم أيدي مظالم الحكام في العلن، مما اضطر العلويين إلى استعداء إخوانهم السنجاريين على القرامطة، فحفوا لنجدتهم، و على قيادتهم الأمير (حسن بن مكزون السنجاري) الذي حشد الجموع منتصراً لإخوانه على القرامطة المعتدين، و قد نزل الأمير بمن معه على ماء يعرف بـ (عين كلاب) قرب قرية (أبي قبيس) في الجانب الشرقي من جبال العلويين، و بعد أن استراح الجيش من وعثاء السفر و أكمل أهفته انطلق الأمير به و بمن التف حوله من علويي البلاد يمعنون في نفوس و منازل أعدائهم قتلاً و تخريباً، إلى أن ضعف أعداؤهم عن المقاومة ففروا من بين أيديهم و تفرقوا أيدي سبأ، يضربون في طول البلاد و عرضها لا يلوون على شيء، و لم تقم لهم بعدها في هذه الجبال إلى الآن قائمة، فكف العلويون أيديهم عن القتال بعد أن أظفرهم الله على خصومهم، و رجع السنجاريون إلى بلادهم طيبة نفوسهم بالرغم ممن تركوا خلفهم من الشهداء و فيهم أخو الأمير و بعض أقربائه و مواليه. و لكن الأيوبيين و لهم مقاليد الحكم في البلاد ما فتئوا يمعنون بالتضييق على العلويين و تشديد الرقابة عليهم و إقصائهم عن موارد الحكم و السياسة، مما جرح كبرياء العلويين العربية و أدمى صدرهم و أفندتهم.

و أشد ما يقطع قلوبهم حسرات أن رأوا بلاداً ملكوها بشفار سيوفهم و سقوا أرضها زكيّ دمائهم تتناهبها أيد لا عهد لها بها من قبل، و ينعم بمرافقها و خيراتها غزاة فاتحون، و هم أصحابها الذين درأوا عنها غارات الروم و خطر القراصنة و الإفرنج، يطردون عن مناهلها طرد غرائب الإبل.

أما في هذا ما يذكي مراحل الصدور و يجرح عزة النفوس و لا حول لهم على دفعه و لا قوة، و تجاه هذه الحوادث المؤلمة و الكوارث الجسيمة التي كانت تنزل بالعلويين من الرعاة و الرعية، و لضعفهم عن المقاومة و الدفاع لجأوا إلى كتمان و لائيم ضنا به و لزموا دور الستر حرصاً على حياتهم، و بالتزامهم دور الستر راجت الإشاعات في باطنيتهم و كثرت التقلبات عليهم، و لإخلادهم إلى السكينة و عدم اهتمامهم لما نسب إليهم- اتكالاً على براءة ساحتهم- صدقت فيهم التهم الملققة عليهم و أسدل عليهم حجاب الإهمال و النسيان، و أغفل ذكرهم إلا من ضرر يلحقه

بهم المبعوضون، أو وصمة يلصقها بهم المغرضون، فانقبضت نفوسهم و اضطربت أفكارهم و ذهلوا عما حولهم، فلا عمدوا إلى القوة لكبت عدوان الحاكمين، ولا اعتمدوا اللين و المداورة لاستجلاب قلوب المحكومين، بل وقفوا حيارى مبهوتين في وقت كان استخدام مواهب العقل و استعمال قوى التفكير لزاماً على كل عاقل و مفكر.

و إنما أفضل ما اهدتوا إليه في تلك الفترة القاسية من حياتهم هو محافظتهم على أنسابهم العربية الصحيحة، و احتفاظهم بخالص الحب و الولاء لأئمتهم المعصومين عليهم السلام، و انشغال بعض علمائهم بتأليف كتب قيّمة تدل على سمو مكانة مؤلفيها العلمية و الأدبية، و قد اشرنا إليها في الفصل الثاني من هذه العجالة و قدمنا نموذجاً من شعر أدبيين من أدباء ذلك الجيل الرهيب، و الحق أقول لو أتيج لعلماء ذلك العصر و أدبائه إظهار مؤلفاتهم للملا، و تسنى لهم إيصالها إلى النفوس الحرة و العقول الواعية لكان لهم من أنصار العلوم و الآداب في المجتمع نصير و ظهير، و لكن أتى لهم نشرها و قد كان ولادة الأمر أعداء مذهب التشيع و خصومه الألداء ضربوا بينهم و بين الظهور على مسرح الحياة بسور من العيون و الأرصاد، يحصون عليهم أنفاسهم و يرقبون سكناتهم، فرغب الكثير منهم عن حياة الحضارة إلى عيشة البداوة، تفادياً من فتك ينتظرهم في نفوسهم كما مُنوا به في نفيس و لائهم إذ منعوا إعلانه فالتزموا كتمانها، فغادروا المدينة مدثرين الليل حجاباً إلى هذه الجبال التي اتخذوا منها أكناناً و من غاباتها و كهوفها ملاجئ و مدخلات.

و إنه لما يحز في النفوس و يدمي متحجرات القلوب أن يحرم العلم و الأدب العربيان ذلك الإنتاج الفكري الخصب، و تأكله دابة الأرض أو تتلقفه مياه الأنهار و البحار، أو تلتهمه أفواه النيران خشية مقاصل الظلم و مقامع الاضطهاد، و ما استعصى منه على الإبادة و الفناء مّني بما هو شر و حاق به ما هو أدهى و أمر، من تلاعب السنة السوء بمضامينه، و جري أقلام الافتراء في حقه، فحشاها دساً و فساداً و أشبعها كذباً، و ادخل عليها ما ليس منها، من أقوال حائدة و عقائد فاسدة، احتقاراً لتلك الآثار الجليلة و انتقاصاً من شخصيات مؤلفيها، و إيذاناً للمسؤولين بإنزال العذاب الشديد و البأس البئيس بالأخذين بها و العاملين عليها.

سقوط الدولة الأيوبية و قيام دولة المماليك

و حال العلويين فيها

ما زال العلويون بين مدبي مغلوب على أمره ملكوم قلبه، منقبضة نفسه، مستخف بولائه، و بين قروي فار بمذهبه منطو على ذاته غاض بصره، يرى الفرار ذلاً، و البعد عن المجتمع نقصاً،

إلى أن قامت دولة المماليك في منتصف القرن السابع، و انتزعت السلطة من الأيوبيين و قبضت على زمام الحكم في مصر و سورية، و أعلنت مذهب التشيع و أعادت الجهر في الأذان بـ (حي على خير العمل) فطابت نفس العلويين بعض الشيء رغم أنهم ما زالوا في معزل عن الحكم إلا أفراداً من رؤساء الجند و ولاة الحصون و القلاع، الذين اختلطوا بالإسماعيليين و عرفوا جميعاً بالفدائيين، و إلا قليلاً من أحفاد التتوخيين الذين هاجروا إلى لبنان، فتوصلوا بحزمهم و بما أثبتوه من شجاعتهم و إقدامهم في الحروب الصليبية الإسلامية إلى تسلم بعض الإمارات هناك، يدفعون عنها خطر غارات الإفرنج و ينقلون خراجها إلى دولة المماليك، و هذا لا يعني أن العلويين نعموا بمرافق الحياة و أصبحوا في بحبوحة من العيش و تقيأوا ظلال السعادة الوارفة، و إنما أحيا فيهم حب الحياة-و قد كانوا سئموها- و جودهم أحراراً يعلنون اعتقادهم و يجهرون بولائهم، إلى أن كانت سنة (١٣٠٥م) عندما أمر السلطان (محمد بن قلاوون) سلطان مصر، من سلاطين المماليك البحرية) رجاله بتسيير حملة عسكرية عظيمة إلى جبال كسروان في لبنان لإبادة الطوائف الشيعية هناك إذ كانوا أصحاب البلاد آنذ، كما فصله العلامة (المطران دبس) في كتابه (الجامع المفصل) و أوضحه المؤرخ (عيسى اسكندر المعلوف) في كتابه (دواني القطوف) حيث يقول:

{و من جملة من فتك بهم العرب النصيرية الذين كانوا في شمال لبنان، و لا سيما في المنيطرة، و العاقورة، و نواحي البترون، و عكار، و الضنية، ثم امتدوا إلى كسروان قبل سنة (١٣٠٥م) و كانوا أشداء يساعدون إخوانهم في (وادي التيم، و مرج عيون) و الذين تخلصوا من الموت من هؤلاء رحلوا إلى الشمال، أي إلى جهات اللاذقية و إنطاكية و اعتصموا في جبالها و بقي منهم قليل في لبنان.}

وضع المجتمع العربي المحكوم من الشعوبيين

و غاية أولئك الحكام

من أمعن الفكر و سار مع الأدوار التاريخية بترو و دقة، يدرك سر تأخر المسلمين العرب في هذه البلاد، إذ يتبين أن جل حكامهم كانوا غرباء أكبر همهم زرع بذور العداوة و البغضاء في صدور أبناء الشعب العربي و العمل لتوسيع شقة الخلاف بينهم، ليتسنى لهم بسط نفوذهم على العرب، و ذلك أن نرى أي أولئك الحاكمين و قد أدرك الفارق المذهبي بين السني و الشيعي يرتضي لنفسه أي المذهبين يراه أقرب ما يوصله إلى غايته، و يستخدم ممن درج عليه من المسلمين العرب قوماً يغدق عليه من عطاياهم و يغريهم بتقريبهم منه، دون أن يكون لهم يد في تصريف أمور الدولة كما يلزم، كأنهم هم الدخيل على البلاد، و يستفزههم بمذهبه المصطنع و ما يزال بهم حتى يبعث في نفوسهم روح الكراهية لإخوانهم أبناء المذهب الآخر، و عندما يتحقق

نجاح فكرته السيئة و يتأكد نمو بذور فساده في النفوس و القلوب يعمل سيفه في من ليسوا على مذهبه و يمعن فيهم قتلا و تخريباً، و إخوانهم ينظرون إليهم فلا تأخذهم بهم رافة و لا ترق لهم عاطفة و لا تهتز منهم مشاعر، كأن لا صلة دين تربطهم و لا أواصر قرى تجمعهم، بل على العكس كثيراً ما كان ينفذ ذلك الجبار غايته الخبيثة في إخوانهم على أيديهم.

و من أنعم نظر بصيرته في أعمال أولئك الحكام الطغاة استبانته له أهدافهم التي و إن تباينت أداة تنفيذها فهي بجوهرها و حقيقتها واحدة، ألا و هي القضاء على العنصر العربي بقتل من يتمكنون من، و إذكاء الفتنة و التفرقة في نفوس البقية الباقية منه.

و من هنا تتجلى الحقيقة بهيكلها الذاتي فتبين على أضوائها أسباب التباعد السني الشيعي، إذ كيف تندمل جراح كان يوغرها طبيبها المسئول يومياً بمراهمه السامة .

مذبحة الطاغية (تيمورلنك)

و يا بنس ما صنع القدر بالمسلمين العرب إذ ألقى مقاليد أمورهم بأيدي غرباء عنهم، و لاة قساة، لا تعرف الرحمة

قلوبهم، و لا تشبع من الدم نفوسهم، من أولئك الغزاة الجفاة، الطاغية (تيمورلنك) المغولي، الذي نفثه القدر سماً زعافاً على قلب العروبة النابض، ذلك العالج الذي اتخذ من مذهب التشيع مثاراً للعصبيات البغيضة و محياً لدفائن الأحقاد المقيتة، فأوقع في المسلمين السنيين أيما إيقاع، تلك المذبحة التي تقشعر لذكرها الجلود و توجل من هولها القلوب.

مجزرة الطاغية (سليم العثماني)

ثم لا نلبث أن نرى القدر بعد حين من الدهر يعكس آيته، فبينما العلويون آمنين مستسلمين لأخيلتهم المجنحة التي طارت بهم إلى ما وراء حاضرهم، فأنتهم غوائل الأيام و مصارع الأجيال التي طالما نقضت عهود أوفياء، و خانت قبلهم أمناء، إذا بالقدر الجبار يصدر عليهم أحكامه الجائرة، و يخرج لهم من خباياه من ينفذها على يديه، تلك الأحكام التي لا هواده فيها و لا رحمة، يقوم بتنفيذها في أواخر القرن التاسع الداھية السفاح (سليم الأول العثماني) الذي أدرك بسبب الفوارق المذهبية ما في نفوس الشعب من كراهية أوجدتها السياسة الدهياء و غذتها أعمال الولاة الرعناء، و هل لمثل هذا الداھية أن يضيعها من يده فرصة ذهبية، فرأى أقرب ما يوصله إلى غايته في الشرق التظاهر بالغيرة على المذهب السني، فأغرى بعض صنائعه من قضاة الرشوة و علماء السوء لإصدار فتوى بهدر دماء الشيعة(العلويين) فصدرت الفتاوى الحامدية و تنقيحها بإمضاء الشيخ (نوح الحنفي).

و لولا ما قطعناه على أنفسنا من تجنب إثارة الحفائظ، و من وجوب المحافظة على وحدة الصف، و العمل لبث روح الإلفة و الإخاء في نفوس أبناء الأمة لأتينا بالنص الكامل لتلك الفتاوى الظالمة الباطلة. و لقد رد على مفتريها الأثيم و دحض زور أقواله و منكر أفعاله سماحة الإمام الحجة(السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي) أعلا الله مقامه، في كتابه(الفصول المهمة في تأليف الأمة) و أبطل ما ادعاه من بغي الشيعة و كفرهم، و زيف وجوه فتواه المنكرة بوجوب قتالهم و قتلهم، بحجج قاطعة و براهين ساطعة و أحاديث صحيحة و أسانيد ثابتة صريحة فليرجع إليها من شاء الوقوف عليها.

و من جراء تلك الفتوى الباطلة و القرية الصارخة بالظلم و الإثم كانت هاتيك الفظائع المنكرة و المجازر الرهيبة التي مثل بها السفاح(العثماني) في الشيعة(العلويين) شر تمثيل.

قال مؤلفوا التاريخ الحديث كان السلطان سليم الأول محنكاً في الحرب و السياسة، فقد رأى أن يوقف الفتوح في أوربا، و إن يستولي على بعض بلاد الشرق، فبدأ بفارس و كان يحكمها(الشاه اسماعيل الصفوي).

و قد استاء السلطان سليم من الشاه اسماعيل لمحاولته نشر المذهب الشيعي في الأناضول، و تحريض الأمراء على مقاومة العثمانيين، و لذلك غزا سليم الأول بلاد فارس و كسر الفرس في موقعة جلديران قرب تبريز في سنة(١٥١٤م) و احتفظ بكردستان و ديار بكر. انتهى.

لقد عرف السلطان سليم من أين يأتي الشاه اسماعيل، إذ عمد لمحاربته داخلياً بما أوحاه إليه شيطان السياسة، فبث دعائه في الأمة يحملونها في الخفاء على التمرد و شق عصا الطاعة على

الشاه، و يخوفون اللاشيعيين استعلاء المذهب الشيعي الذي تغلغل في الأناضول حتى كاد يستولي عليه، و الشاه غافل عما يحاك له، و من الغريب أن يجري مثل هذا بين ظهرانيه و لا يراه، و هو المشهور بيقظته و بعد نظره و نفاذ بصيرته في عواقب الأمور.

و لكن إذا حم القضاء على امرئ فليس له بر يقيه و لا بحر

صدر أولئك الدعاة في غيهم و تمادوا في غوايتهم فضللوا الآراء القاصرة، و سحروا العقول الساذجة و أغروا النفوس بما منوها من أساليبهم الخادعة، و وسعوا شقة الخلاف بين صفوف الأمة، فلم ينتبه الشاه إلى نفسه إلا و هو وسط بركان من نيران الفتن لا يلبث أن ينفجر فيهبوي به إلى مكان سحيق، نظر إلى ما حوله فرأى أولئك الدعاة و قد استفحل أمرهم و استعصى داؤهم، فأخذ يدعو الأمة باللين تارة و بالقسوة أخرى إلى التضامن و نبذ الفوارق، و يحضهم على مقاومة العثمانيين، و لكن، سبق السيف العذل، فلم تجده حكمته فتيلاً إذ كانت تأصلت العداوات في النفوس، و تحكمت البغضاء في الصدور، و استبد بصفوف جيشه الضعف و الانحلال، و عدوه ذلك السفاح العثماني يرقب تلك الأوضاع عن كثب فغزا بجيشه المتأهب بلاد فارس و كسر الصفويين كما تقدم، و أعمل سيفه بعلويي فارس و العراق، و فيما يتعلق بمصر و سورية فقد قال مؤلفوا التاريخ الحديث.

(أما في مصر و سورية فقد ساءت العلاقات بين المماليك و العثمانيين، لأن المماليك كانوا أصدقاء الصفويين و ظهرت منهم بعض تصرفات عدائية نحو العثمانيين، و من جهة أخرى كان سكان سوريا يرغبون في التخلص من حكم المماليك لسوء حالة البلاد، و قد اتجه سليم الأول نحو سورية و حارب المماليك و على رأسهم سلطانهم(قانسوه الغوري) في موقعة(مرج دابق) قرب حلب، سنة(١٥١٦م) و انتصر عليهم، و قد ساعده بعض ولاة سورية ضد المماليك منهم:

خير بك، نائب حلب، و الأمير فخر الدين المعني أمير الشوف في لبنان.)

و ذلك أن السلطان سليم اتجه إلى سورية بأطماعه التي لم تكن لتقف به عند حد، بتنفيذاً لخطته المرسومة و لما يمض على فعلته الشنعاء في العراق إلا القليل، و لم يكن نصيب السوريين بأقل من نصيب إخوانهم العراقيين من تفشي دعاته فيهم و انشقاق صفوفهم و انحلال عزائمهم، مما سبب سوء حالة في البلاد تذرع فيها الراغبون بالتخلص من حكم المماليك، فعملوا ما وسعهم لإسائة العلاقات، بين المماليك و العثمانيين، و جهدوا أنفسهم لإيجاد جو من التوتر بين الدولة و الرعايا أنفسهم، و بذلوا ما أمكن لنشر الفوضى بين طبقات الشعب تهيئة لاستيلاء العثمانيين

على البلاد، فكانت موقعة(مرج

دابق) التي انتهت بدحر المماليك و انتصار العثمانيين و إمعان السلطان سليم في نفوس العلويين و دورهم قتلاً و تخريباً،لقد انصب عليهم انصباب السيل و انقض عليهم انقضااض الصواعق المحرقة، فأخذهم أخذاً وبيلاً و فتك بهم فتكاً ذريعاً، و لم تهدأ نفسه الثائرة و تستقر أعصابه المتوترة حتى ظن و ظنت بطانته الفاسدة أن تلك الفرقة انقرضت أو كادت، فأغمد سيفه الأثيم و هو ينظر إلى تلك الدماء البريئة تقطر منه فتأخذه العزة بالإثم، و قد أباد بتلك الفتوى الجائرة من مؤمني حلب أربعين ألفاً أو يزيدون، و انتهبت أموالهم و أخرج الباقون من ديارهم .

لجوء العلويين إلى جبالهم و بدء عصر

التفقر فيهم

بعد أن سكنت هاتيك العاصمة الهوجاء و الغضبة الجامحة أخذ العلويون السالمون من مجزرتين في العراق و سورية يجمع بعضهم بعضاً، و يتسللون تحت أجنحة الليل لو إذا هذه الجبال، متوافدين من مختلف الأنحاء يعتصمون بقننها و يلوذون بغاباتها و كهوفها، فراراً من تلك السيوف العادية التي كانوا يتمثلونها تقطر من دمائهم، و لم يقتصر السلطان سليم على تلك المجازر الرهيبة و فضائع المنكرة التي مثل بها في العلويين، بل استجلب العشائر التركية من الأناضول و كان يقدر عدد أفرادها بمليون نسمة، و أسكنهم في السهول المحيطة بمعاقل العلويين من جبال طوروس إلى جبال عكار، و لا تزال بقاياهم في هذه البقعة حتى اليوم، و سلطهم على العلويين المحاصرين في جبالهم بغية إفناء هذا الشعب عن بكرة أبيه، و هي فكرة خبيثة كانت ترمي إلى غرضين في وقت واحد، أولهما: تترك هذه البلاد، و ثانيهما: القضاء على العلويين، و قد فشل الغرضان في هذه البلاد، و لكنهما نجحا في الأناضول حيث احتشد فيها بعدئذ الملايين من الترك و الأرمن و الأكراد.

و قد استطاع السلطان سليم أن يحشر العلويين السالمين من أذاه في هذه الجبال الوعرة الضيقة لا يستطيع أحدهم الخروج منها إلا إذا كان يفضل الموت على الحياة،فالترك محيطون بجبالهم إحاطة السوار بالمعصم و قد عمروا المدائن و استوطنوا السواحل و بثوا على منافذ الجبل العيون و الأرصاد، و كثيراً ما كانوا يهاجمون العلويين في عقل دورهم فيقتلون و يدمرون و ينهبون حتى اضطر أكثر العلويين إلى سكنى المغاور و الأنفاق، تفادياً من سيوف أولئك الأتراك الذين(كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون.)

و أشد ما يؤلم المسلمين العلويين و يجرح كبرياء أنفثهم العربية أن كان ما يجري عليهم باسم الدين، و الدين من ذلك كله براء، إنما هو افتراء على الدين و أهله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من الله ليشتموا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم و ويل لهم مما يكسبون).

و إذا كان العلويون اتقوا شفار السيوف بلجوئهم إلى الكهوف و المغاور فأنى لهم اتقاء مخاوف قلوبهم التي تمثلت في خواطرهم صلاً تنهش أحاسيسهم و مشاعرهم، و تقض مضاجعهم فلا تعرف الراحة و الاطمئنان سبيلاً إلى قلوبهم، و لا الهدوء و الاستقرار منفذاً إلى أفكارهم، فهم في مأمهم خائفون و حيث كانوا معذبون، قذف في قلوبهم الرعب و امتلأت نفوسهم خيفة، و تقطعت بهم الأسباب و سدت في وجوههم المذاهب تتنازعهم الحسرة و تعتورهم الخطوب و الملمات، فمثلهم مثل طير وقع في أحبولة صائد كلما حاول التخلص أطبقت عليه خيوط الأحبولة و زادت به تعلقاً فلا نفسه النزاعة إلى الحرية ثابتة إلى الهدوء و لا حبال الشبكة مكنته من الإنطلاق فلم يزل في مد و جز إلى أن خارت قواه و ضعف عن الحركة فأغمض عينيه و استسلم لمدينة الصياد.

و من تبين بعين الإنصاف مبلغ ما مُني به العلويون في تلك الأدوار المظلمة من مظالم تأبها الأذواق السليمة و تستنكرها الضمائر الحية، عذره على ما وصلت إليه حالهم و أكبر فيهم صبرهم و صمودهم لتلك العواصف الهوج التي كانت تتنازعهم صباح مساء، فقد حيل بينهم و بين ما يشتهون كأن لا خلاق لهم في ملذات الحياة الدنيا و مترفاتها، و أبعدها عن المدينة و الاجتماع كأن لا وجود لهم في خارطة الوجود، و سكنت دورهم و صودرت أملاكهم و نهبت أموالهم فلا حول لهم على درء شيء من هذا كله و لا قوة، و بحكم ما نزل بهم من كوارث و ما ألمّ بهم من نوازل و لبعدهم عن المدينة و الاجتماع و انزوائهم في الغابات و الكهوف، تأخروا في ميادين الثقافة العامة و تفسى فيهم الجهل و الأمية، و سادهم التزمت و الانكماش و زين لهم حب الحياة إيثار العزلة فألفوا الوحدة، و استسلموا للاستكانة و غضوا أبصارهم عما يحاك لهم من دسائس و أصموا أذانهم عما يسمعون من تهم توجه إليهم و أكاذيب تلفق عليهم، فلا يقابلون ذلك كله إلا بهز الكتف كأن الأمر لا يعينهم، أو كأن غيرهم المقصود بتلك الأراجيف و التخرصات .

العشائرية و أثرها في العلويين

و أشد ما ينكأ جراح النفوس و يدمي متحجرات القلوب ما انتابهم في داخلتهم، ألا و هو انقسامهم على نفوسهم عشائر، بسبب أنهم من قبائل متفرقة و من بيئات مختلفة، الأمر الذي

أخضعهم لعادات عشائر البدو فألقوا مقاليد أمرهم و سلموا شأن تصريف أحوالهم إلى رؤساء أمرهم عليهم، و أولوهم حل مشاكلهم و إصلاح ذات بينهم شأن أحكام العرب القبائلية، و لكن يالهل المصيبة فلقد تولى أمرهم من لايهمه أمرهم، و في وقت كانوا أحوج ما يكونون إلى الإخاء و التضامن و نبذ الفوارق، أخذ أولئك الرؤساء يناوئ بعضهم بعضاً و يعمل كل منهم بما يراه من مصلحته، و يحكم هواه في عقله و يسير نزعاتهم و يسير قومه برغائبه و يبيت فيهم روح الكراهية لإخوانهم أبناء العشائر الأخر غير أبه لما يؤول إليه حال الجماعة و لا مفكر بمصير الشعب القائم على تصريف أموره المسئول عنه أمام العدالة الإلهية، بحكم السنة المقدسة،(كلكم راع و كل راع مسئول عن رعيته.)

أين المنتهون و قد تغلغل في نفوسهم حب الذات و استولى عليهم سلطان الغرور و استبد بهم إيثار الغلبة، فاندفعوا يتخطفون صالح الشعب بأسنة مصالحتهم، و يتجادبون حقوقه بأيدي أطماعهم، يفتحون بينهم لأتفه الأمور و أحقرها باباً للخلاف قصد الاستئثار بمرافق الشعب و مقدراته.

همّ كل منهم إقامة بناء مركزه، و لو على الرؤوس و الجماجم، ضارباً بمصلحة الأمة عرض الحائط، إلى أن كان من جراء هذا التوجيه الفاسد أن أخذ العلويون يغزو بعضهم بعضاً و يسلب بعضهم أموال بعض، و كثر بينهم النهب و عمت الفتنة و اضطرب حبل السفينة و ربانها مخمور تتقاذفه و من معه أمواج الجهل و تعصف بهم ريح الأحقاد، مما جعل أمر إصلاحهم متعذراً و الأمل بنجاتهم ضعيفاً، كل ذلك و هم في غفلة عن أنفسهم و عن المجتمع الذي يرقبهم و هم عنه معزولون، فهو بين راحم لا تتعدى رحمته قلبه، يؤلمه ما هم فيه و عليه و لكن لا يرفع لإصلاح أمرهم صوتاً و لا يمد لتقويم أو دهم يداً، و بين ناغم يتشفى بمصارعهم و يعبث بمصالحتهم، و ترتاح نفسه لتخاذلهم و يشجع روح التفرقة فيهم و ينظر إليهم بعين الساخر المحقر نظرة العزيز إلى الذليل، و لا تربأ به حياة ضميره عن تسفيه أحلامهم و القول بتكفيرهم رغم معرفته بسر تأخرهم و أسباب انحطاطهم، مستهيناً بتقاليدهم التي إذا شكروا على شيء ما في ذلك الوضع السيئ فقد يشكرون على محافظتهم عليها، لأن احتفاظ الأمم بتقاليدها في كل زمان و مكان أكبر العوامل التي تصون كيانها القومي و تساعد على استرجاع مكانتها المسلوقة، و قد يقول بعض المفكرين(أن الأمة المحكومة التي تحافظ على لغتها تشبه السجين الذي يمسك بيده سجينه) فكيف بمن تحتفظ بلغتها و دينها و تقاليدها.

لقد اجتاز العلويون في أدوارهم الماضية أدهى و أمرّ ما تجتازه طائفة محكومة في مراحل حياتها، أهواء تتنازعهم و أدواء تصارعهم و جهل يفتك بهم و أمية تسودهم و حوادث مؤلمة تلم بهم و كوارث تتناهبهم، و كلما نزلت بهم نازلة تضاعلوا أمامها و استكانوا لها و ازدادوا انكماشاً على أنفسهم و ابتعاداً عن المجتمع فيزداد المجتمع منهم نفوراً و عنهم بعداً و عليهم نقمة و بهم استهانة، و هم عما يعرفون مشغولون بأنفسهم عن تدارك أمرهم صابرون على بلائهم،

مستسلمون لمشية القدر فيهم محتفظون بلغتهم العربية و دينهم الإسلامي و تقاليدهم القومية الموروثة و بأصولهم و أنسابهم العريقة، إلى ما قبل قرن و نيف، حيث انبعثت في نفوس بعض قادتهم روح اليقظة و التفكير ، فعملوا ما في وسعهم للإنعاش و الإصلاح.

و لما كانت الحرب العالمية الأولى و دخول الكثير من رجال العلويين معاركها الطاحنة في شتى الأصقاع و الأنحاء و في أغلب ميادين القتال عن طريق السوق الإجباري تحركت فيهم نخوتهم العربية و انتعشت في نفوسهم عزتهم القومية الأولى، و طاروا بأرواحهم إلى ماضيهم البعيد، حيث رأوا ذواتهم بمرآة و الكرامة لا على عدسة التلاشي و الخمول.

ثورة العلويين ضد الاستعمار الفرنسي

لما دخل الأجنبي الغاشم هذه البلاد منتدباً عليها كان أحرار العلويين في طليعة من أنكره و استنكر انتدابه، و كانت أول الثورات في الأمة ثورة العلويين التي نشبت في شهر أيار سنة (١٩١٩م) بقيادة المجاهد (الشيخ صالح العلي) و مؤازرة لفيف من وجهاء الشعب و قاداته و كثير من رجال الجهاد و التضحية، من مختلف أبناء العشائر العلوية، الذين وقفوا في وجه الاستعمار صفاً واحداً متراساً و أقاموا من صادق و طينتهم سداً حصيناً بين المستعمر و أمانيه، متعطشين للحرية مستهينين في سبيلها بكل شيء متناسين تفرقتهم بغية الحصول على سيادتهم، مبدأهم الإيمان بالله و الوطن، و غايتهم تطهير البلاد من رجس المستعمرين، يدفعون بقوة إيمانهم كثرة عدوهم و يفلون بجميل صبرهم سلاح خصومهم، يستمدون قوتهم من صدق نيتهم في الجهاد و يستوحون عزمهم من قداسة ما يجاهدون في سبيله يقدمون أرواحهم أضحى على مذابح السيادة قرابين لله و الوطن، يحثهم شعورهم بالواجب الوطني المقدس و يستصرخهم دم أجدادهم الزكي الناضح بأرج الحرية و عبير الكرامة، فيستجيبون لصرخته بقلوب لا تعرف الخوف و نفوس لا يتسرب إليها الجبن، ينفضون عن جباههم غبار الذل العالق بهم من مخازي الأجيال الماضية، و ينتقمون من كل دخيل على البلاد مستهين بحقوقها و كرامتها، يقاتلون بعقيدة و صبر و يمددهم إخوانهم في الداخل بشيء من الأسلحة و الذخائر، و يأتيهم الشيء الكثير من غنائم حملات العدو المدحورة بين أيدي مقاتلتهم، و قد اشتهرت هذه الثورة ببسالة رجالها المجاهدين الأحرار و بإنهاك الفرنسيين و إهلاك كثير من قواتهم، مما اضطر السلطة العسكرية الفرنسية إلى تجهيز قوات كبيرة لمطاررتها، فقامت في شهر حزيران سنة (١٩٢١م) آخر معركة في القدموس دارت فيها الدائرة على الثورة و انتهت بانتصار الفرنسيين و قيام الحكم الانتدابي في البلاد.

الحكم الانتدابي و عمل أحرار العلويين للإطاحة به

نزل العلويون عند حكم الواقع و لكنهم غيرهم بالأمس، إذ انطلقوا من عقال العزلة و انفلتوا من قيد التزمت و انتظموا في سلك المجتمع، و تنسموا أرج الحرية المنعش فتاقت إليها نفوسهم و طارت أرواحهم في أجوائها تفيء إلى ظلالها الوارفة، و تستضيء بأنوارها المتألقة، و لكن أنى لهم ما يرجون، و العدو الرابض على كرسي الحكم في البلاد لا يعلم من ماء الحرية العذب إلا بمقدار ما تقتضيه مصلحته و يتمشى مع رغائبه، لقد أقام في البلاد عدة دول اصطنع بينها الحدود الواهية و وضع لها الأنظمة المغايرة، تجزئة للبلاد الواحدة و تفريقاً بين أبناء الأمة الواحدة تنفيذاً لخبطته المرسومة على قاعدة(فرق تسد).

و من تلك الدول الكثيرة ما اسماه(دولة العلويين المستقلة) التي جعل من قيامها مثاراً للعصبيات الأثيمة و مبعثاً للطائفية البغيضة، و من إنشائها ربحاً تمزق صفوف أبنائها الذين أجمعوا على مقاومته و التقوا على صعيد واحد في إنكاره و استنكاره، و لكنه ما لبث أن عرف من أين تؤكل الكتف، درس نفسيات رجال البلاد و انتهى إلى دخائلها فوجد من بعضها ما تنمو فيه فساد- و هذا ما تصبو إليه نفسه- فبذرهما، و أقام على حراستها أمناء من رجاله يتعاهدونها بماء غوايتهم و أحاطوها بجدران من محاسبيهم عوناً على حمايتها و عيوناً على مستأصليها، أضفوا عليهم الألقاب و منحوهم الأوسمة جزاء ما بثوه في الأمة من تفرقة و أكثروا في البلاد من الفساد.

تلك الفئة المرتزقة التي عملت لإنعاش حياة الروح الفردية، و فقدان التضامن الجماعي، أولئك الرجال الذين كان ينصبهم متى شاء و يعزلهم متى شاء، اتخذ منهم مطايا لأغراضه الخبيثة و استخدمهم في تنفيذ مآربه السيئة و أقام منهم سدوداً تتكسر على صلد صفوانها فشار السيوف الحداد، سدوداً مستعصية إلا على عشاق الحرية أحياء النفوس و الضمائر، و كلما ازدادت الحال في البلاد تازماً من جراء أعمال أولئك الأثمة المأجورين ازدادت نفس ذلك الدخيل ابتهاجاً و خده تصعراً و أطلق يديه بالهبات لصنائه و محاسبيه من أموال البلاد و مقدراتها، مستهيناً بواجبات الأمة و منتهكاً حرمت حقوقها، فتململ أحرار العلويين الذين يرون الموت في سبيل تحقيق أمانى البلاد حياة خالدة و الذل ابتغاء القيام بالواجب عزراً دائماً، و تميزت نفوسهم غيظاً من أعمال ذلك الدخيل الذي عاث في البلاد فساداً، و سقى القلوب ناراً، فعزموا على إحباط مساعيه ببث روح الإخاء و التضامن بين أفراد الشعب و إيجاد فكرة التعاون بين طبقات الأمة، و لكن أمناء المستشارين الذين كانوا عن طريق عملائهم يرقبون حركات أولئك الأحرار و سكناتهم و يحصون عليهم أنفاسهم ضربوا على أيديهم و جردوهم من كل قوة إلا قوة الإيمان بمبادئهم المقدسة مبادئ الحرية و المساواة التي طالما نادوا بها و دعوا إليها و عملوا في البلاد لنشرها.

ولما رأوا أن الوقت لم يحن و أن لابد من التريث، إذ(الأمر مرهونة بأوقاتها) (و لكل أجل كتاب) وقفوا يتربصون بعدوهم و عدو البلاد الدوائر، و يهتبلون الفرص للإيقاع به، إلى أن كان عام(١٩٣٦م) حيث نهضت الأمة مطالبة باستقلالها، فنهضوا مجييين داعي الوطن و مليون نداء الواجب القومي تبعثها أقلام كتّابهم على متون الصحف صرخة مدوية في شرق الأرض و غربها، طلباً للسيادة و الاستقلال و ترسلها خطباؤهم أصواتاً مجلجلة في الأجواء نشيداً للحرية، و يسكبها مفكروهم فكراً في النفوس و الخواطر و نوراً وضاء ينير الطريق أمام سواد الشعب فينطلق سبلاً متدفقاً يتخطى صدور المصاعب و يذلل العقبات و يستهين بالسجون و يستخف بالأضرار التي يلحقها به أعداء البلاد الحاكمون إلى أن أنال الله سبحانه الأمة على صبرها نصراً، و على جهادها أجراً فمنحها حريتها كاملة و وحدتها شاملة، و حقق لها أمانيتها بجلاء آخر جندي أجنبي عن أرضها، و ضاعف البارئ تعالى من أنعامه عليها و إحسانه إليها أن قيّض لها من أبنائها المخلصين و أحرارها المجاهدين رجال عمل و إخلاص و دعاة وحدة و إخاء في العرب نظروا إلى المستقبل بأبصار حادة و بصائر نفاذة فهداهم سمو تفكيرهم و بعد نظرهم لمد أيديهم إلى رائد القومية باعث نهضتها، لا بل علمها الخفاق و مشعلها الوقاد، الرئيس(جمال عبد الناصر) فتوحد القطران الشقيقان، و تلاقى الأخوان المتباعدان، و لنا كل الثقة بالله سبحانه أن يحقق لنا على يد هذا الرئيس المفدى، و إخوانه العاملين معه بإخلاص و تضحية لتوحيد العرب كافة، أمنيتنا الغالية أنشودتنا المحببة، ألا و هي نصر القومية العربية و وحدة أبناء الضاد من الخليج إلى المحيط خفاقاً علم وحدتهم في سماء المجد و السيادة، عالية كلمتهم في دنيا الرقي و الحضارة، هذه الوحدة التي هي كل ما ننشده و غاية ما نتمناه لا نرضى بها بدلاً و لا نبغي عنها حولا .

نهضة العلويين

أصاب العلويين في شتى ميادين حياتهم ركود قلما سلمت منه فرقة من الفرق، في ادرار تاريخها، و لكن ربما كان فيهم أبعد مدى و أبلغ أثراً، إذ لبثوا في انكماشهم أجيالاً طوالاً تعصف بهم رياح المظالم و تعدو عليهم غوائل الأيام و عوادي السنين، تتنازعهم ثلاثة أدواء فتاكة كل واحد منها كفيل بأن يقضي على أية فرقة فكيف بها مجتمعة فيهم، حاكم مضطهد، و مجتمع ناقم، و جهل شامل، إلى أن بعث الله سبحانه فيهم من أنفسهم رجال إصلاح و قادة تفكير أحسوا بما هم فيه و عليه من سوء الحال و شعروا أن الباعث الرئيسي على ما وصلوا إليه هو ابتعادهم عن المدينة و انفرادهم عن المجتمع، فبثوا في أبناء الشعب روح اليقظة و حببوا إليهم العلم، و كرهوا إليهم الجهل و حاربوا فيهم الأمية، في نفوسهم أشعة أنوار الحياة خيوطاً دقيقة تكاد لا ترى بالعين المجردة، ثم أخذت تلك الخيوط تتضح فتجلو غشاوات الأبصار و ظلمات البصائر بفضل سهر أولئك المصلحين على مصالح الشعب و عملهم لرفع مستواه.

ففي أوائل القرن الثالث عشر(هـ) اتصل صاحب الفضيلة المغفور له الشيخ (سلمان بيصين) اتصالاً وثيقاً بإخوانه الشيعة في جبل عامل و تراسلوا بالأشعار و القوافي و تبادلوا الكتب و الرسائل التي تفوح بعبير الود و تتضح بندى الولاء، و تنطق بصادق الحب و الإخاء، و تفيض برقيق الشعور و العاطفة و تفصح بلسان الشكوى و المعاتبة (و المعاتبة مصغاة القلوب) عما يحسون به جميعاً من آلام الجفوة و القطيعة، و من تلك المراسلات الكثر ما جاء في إحدى قصائد (الشيخ سلمان) الاستشفاع بالنبي الكريم و الأئمة الطاهرين قوله مخاطباً رسول شوقه إلى إخوانه العاملين:

و قل لهم يا موالي آل حيدرة قاطعتمونا بلا ذنب و معذرة

عاتبتمونا بأخبار موهمة بلا دليل لكم فيها و لا ثقة

إني أجيب فما للعتب من سبب

هل من دعانا و أنتم يوم دعوته ينبي بأنا خرجنا عن مودته

أم جاءكم عن مواليه و عترته أم سيد الرسل أوصى ضمن حكمته

حضاً على بعدنا في باطن الكتب

ألية برسول الله ذي العظم محمد المصطفى المبعوث للأمم

و المرتضى و نبيه سادة الحرم إلى المرجى بيوم الفوز و النقم

نحن و أنتم سوا في البعد و القرب

فيجيبه أحد إخوانه الإماميين مبتدئاً بالترحيب بقصيدته فيقول:

أهلاً بمن أقبلت تعلقو على زحل فاقت لبدر الدجى و الشمس في الطفل

جاءت تميم كغصن البان في الميل من فتية دينهم حب الإمام علي

السيد الماجد المولى و ذي الرتب

تشير بالحب و الإخلاص صادقة و في محبتنا و الود ناطقة

لأنها لبني الزهرا مواليمة و الجبت تشنيه و الطاغوت ماقتة

حقاً يقيناً بلا شك و لا ريب

ثم يستطرد إلى الإستعطاف و التودد فيقول:

و قد ذكرتكم بأننا لا نحكمكم و ترمقونا و نحن لا نودكم

و كيف ذا و مقر الروح عندكم و أنتم الغاية القصوى و قربكم

يطفي أوام الجوى مع شدة النصب

لكن حكم النوى أسدى إلينا جفاً و القلب بالشوق من ألم البعاد هفا

و الطرف من أجلكم ما ذاق طعم غفا و الجسم من بعدكم ما حل فيه عفا

إذ أنتم القصد لا بل غاية الطلب

هذا غيظ من فيض مما تضمنته تلك الرسائل الكثر المفعمة بروح الإخاء و الولاء.

و في منتصف القرن الثالث عشر (هـ) كان ممن جاهدوا في الله حق جهاده، و عملوا لمداواة النفوس من ادواء الضعف و الجهالة، صاحب الفضيلة، المغفور له (الحاج معلا) الذي حج إلى بيت الله الحرام، فشق للعلويين طريقاً كانت مستعصية عليهم في تلك الآونة، و استحضر أحد خريجي الجامع الأزهر لتلقي تجويد القرآن الكريم على يديه و تعلم بعض قواعد اللغة منه، على طريقة الأجرومية و شرحها للكفراوي و ألفية ابن مالك و غيرهما، و بنى جامعاً في قرينته التي عرفت فيما بعد باسمه (بيت الحاج)، و استنهض الهمم لبناء الجوامع و إقامة الشعائر الدينية و بعث في أبناء هذا الجيل روح الشجاعة لإعلان تعاليم الشريعة السمحة التي كانوا يقيمونها سراً داخل بيوتهم، و حارب فيهم ذلك الخوف الموروث من مظالم الأجيال الرهيبة التي مرت بهم، يشد أزره و يدعم فكرته كل من المجتهدين المجاهدين و العلماء العاملين، السادة الفضلاء :

الشيخ(محمود حسين)بعمره، و الشيخ(ابراهيم مرهج) و الشيخ(حسين أحمد) الذين أفنوا أعمارهم في خدمة العلم، و كرسوا أوقاتهم لنصرة الحق، و بذلوا جهودهم لنشر مبادئ التعليم و محاربة الجهل و الأمية، و عملوا ما في وسعهم بكل إقدام و تضحية لأداء رسالة الإصلاح و التهذيب إلى أن استأثر بهم ربهم و نقلهم إلى جواره في دار رحمته.

و كان أول من تجاوب مع فكرتهم النبيلة و أجاب دعوتهم الحققة للنهوض بأبناء هذا الجيل من كبوتهم، و تقبلها بقبول حسن و عمل لها جاهداً، صاحباً الفضيلة، الشيخ (ياسين يونس) و الشيخ (عمران الزاوي) فقد بنى الشيخ (ياسين) في قرينته جامعاً تؤدي فيه الصلاة و تتلى من على منبره خطب الجُمع الأعياد، وتعهد بعده هذه النهضة المباركة ولده و حفيده صاحباً السيادة: الشيخ(محمد ياسين) و الشيخ(عبد اللطيف الغانم) غفرا الله لهم جميعاً، و ما زال آل الشيخ يونس يحتفظون بهذا الأثر الطيب و العمل الصالح.

كما بنى الشيخ (عمران الزاوي) في قرينته مسجداً و أجرى له في كل يوم جمعة صدقة من ماله الخاص بعد أداء الصلاة، يتفقد الفقير و يبر المسكين و يطعم الجائع.

و تبعه بنوه الكرام السيد الشيخ عبد الرحمن، و الشيخ عبد اللطيف، و الشيخ حمدان، و الشيخ أحمد.

في هذه العادة الحسنة و المزية الطيبة التي كادت تكون ملكة في نفوسهم لا منزع لهم عنها و لا محيد، و ما زالوا يقتسمون 'جراها بينهم كل جمعة على واحد منهم إلى أن توفتهم الملائكة طيبين و أحلهم ربهم دار رضوانه.

و من العلماء العاملين لرفع مستوى الشعب العلوي في ذلك الجيل الرهيب صاحب المقام الرفيع الذي من العقوق كتمان فضله و جهاده، فضيلة الشيخ (أحمد علي أحمد) الذي نزع من قرية (القلع) في شرقي قضاء(جبلة) إلى قرية (البهلوية) و إليها نُسب، ثم غادرها إلى (مزار القطرية) في الجنوب الشرقي لقضاء (اللاذقية) حيث مقره الأخير، عطر الله رسمه.

ذلك العلم الذي رأى أن لا وسيلة نافعة و لا دواء ناجعاً لبراء أدواء العلويين و تحسين أوضاعهم إلا العلم و العلم وحده، هو الكفيل لاستعادة مجدهم المسلوب و العامل الوحيد لانطلاقهم في ميادين المجتمع و انضمامهم إلى عقد نظامه بعد ذلك الانقطاع الطويل، و أدرك بثاقب لبه و نفاذ بصيرته أن حلمه ذاك لا يتحقق إلا بمساعدة الحكومة، و غير خفي على المتأمل ما كان يصل إلى ولاة الأمر من صور مشوهة و أقوال مموهة- عن هذه الفرقة العربية المسلمة- يتعمد اختلاقها و تزييفها المصطادون في الماء العكر، فهاله- بادئ ذي بدء- خطورة الموقف فأحجم ملياً، ثم ما لبث أن دفعه إلى التضحية و الإقدام نبل الغاية و شرف المطلب فأقدم بجرأة و عزم على الاتصال بمتصرف اللواء و قد كان لحسن الحظ وجدانياً محباً للخير فاعله، لا تتغلب على نفسه عوامل التعصب و لا تتحكم بعقله نزعات السياسة، ذلك المتصرف هو المرحوم (ضيا باشا).

و بعد تعرف الشيخ عليه و اجتماعه فيه غير مرة كان في كلها موضع إعجابه و تقديره، بحث معه خلالها حالة العلويين، و تطرق إلى الصور المنقولة عنهم إلى الحكام فأراه كيف شوهاها الناقلون، و طلب معونته لإنقاذهم من مخالب الجهل و الأمية المطبقة على أعناقهم، و العمل لرفع مظالم النقولات و الافتراء عنهم ببناء مساجد في قراهم تكون مواضع للصلاة و بالوقت ذاته مدارس للتعليم، فوعده المتصرف خيراً و أرشده إلى مناهج النجاح في طلبه و هي تقديم رسالة دينية في بيان الحدود الخمس الإسلامية إلى الباب العالي مرفوعة بطلب فتح اعتماد و تخصيص من ميزانية الدولة لبناء مساجد في الجبل العلوي تقام فيها الصلوات و تعلم فيها الطلبة و يرسل إليها المعلمون على نفقة الحكومة، فأسرع الشيخ أخذاً بإرشادات المتصرف إلى رفع رسالته تلك إلى الباب العالي بواسطة متصرف اللواء الذي ذيلها بالشروح اللازمة لتحقيق غايتها، فقبولت تلك الرسالة بالرضى و الاستحسان، و نظر إلى الطلب بعين القبول و الاعتبار، و كل الباب العالي إلى المتصرف قضاء حاجة الشيخ و نجاح مطلبه إذا رأى ذلك.

و ما إن وصله الأمر حتى استقبله فرحاً و طلب الشيخ إليه و أبلغه قبول طلبه و نجاح فكرته، فعلاً معاً لبث روح الثقافة في الجبل و بناء المدارس فيه و قد بلغ عددها ستاً و ثمانين مدرسة بنماذج مساجد، و بعث إليها المعلمين يعلمون فيها بعد أداء الصلوات قراءة القرآن الكريم و حسن الخط و العلوم المتبعة يومئذ، و منح الشيخ حرية القول و العمل فكرس وقته لخدمة الشعب، ينفخ في أبنائه روح النهضة و يحضهم على طلب العلم و يزرع في نفوسهم بذور الألفة و التحابب و يخوفهم مغبة التفرقة و الإنقسام، إقالة لهم من عثار الأجيال و نهوضاً بهم من مزالق الذل و الضعة إلى شرفات العزة و الكرامة.

و ما زال هذا العالم العامل يقوم بما وقف له نفسه من الإصلاح إلى أن نقله الله إلى جواره في دار رحمته مع الصالحين.

و بنقلة هذا العالم إلى جوار ربه و انتقال المتصرف المذكور من اللواء عاد الدساسون سيرتهم الأولى و وجدوا ضالته في من خلفه من الولاية، و خمدت في الجبل قرائح الطلبة بهمود مثيرها، و نشط رجال الهدم بإثارة فتنة في أوساط العلويين غايتها قتل هذه النهضة المباركة، و قد كاد يقضي عليها، لولا أن تداركها الله بعنايته فقيض لها من تعاهدها من شيوخ الدين الصالحاء، و في طليعتهم المغفور لهما الشيخ

(ناصر الحكيم) المعروف في أوساط هذه الجبال بسماحة خلقه و سجاجة طبعه، المأثور عنه استجابة الدعاء و الإخلاص في العمل، فكان موضع ثقة الشعب و معقد رجاء العافين، و الشيخ (محمد سلمان) المشهود له من سائر معاصريه ببعده النظر في عواقب الأمور، المشهور بالمحافظة على أحكام الشرع الشريف و الذي كان القدوة الصالحة بنزاهة القضاء و الإخلاص في الورع حتى أن المتصرف المذكور أنفأ انتم به غير مرة و في أكثر من بيت من بيوت الله.

و خلف أولئك الأبرار لنشر دعوة الإصلاح و إعلاء كلمة الحق كثير من رجال الجهاد و الإخلاص، كالسيد(مصطفى السيد) و ابنه (السيد ابراهيم) اللذين كانا حجة يرجع إلى فتاويهما في علم المواريث، و الشيخ (عبد الكريم سعد) المشهور بعدل قضائه و فصل قوله، و الشيخ

(ابراهيم عبد اللطيف) ذلك الذي كان مطمح آمال المتعلمين و محط رحال القاصدين، فكم ارتاد منزله طلبية العلم من أبناء جبل عامل و من مختلف الجهات يسارعون إلى التقاط فوائد درره و اكتساب فوائد هو غرره، و الشيخ (عبد الكريم محمد) المعروف بحسن بيانه و حصافة رأيه و عذوبة منطقه و دماثة أخلاقه و جمعه أشتات المفاخر و المآثر، و الشيخ (يونس حسن

رمضان) المشهود له بمعرفة أصول الفقه الشريف و فروعه و العمل بأحكامه، و الشيخ (محمد محمود مصطفى) الطيب الذكر و الأثر الرفيع المكانة بالعلم و الأدب، و غيرهم من علماء ذلك الجيل أصحاب العقول النيرة و الأفكار الوقادة الذين كانوا و ما زالوا أعلاماً و ضاءة يهتدي بعلمهم و يقتدى بعملهم.

و إني إذ أشير إلى بعض دعاة اليقظة و قادة الفكر في هذه الفرقة المسلمة، التي عبثت بمقدراتها أيدي الظلم و السنة السوء و الفساد أجيالاً طوالاً، إن هو إلا اعترافاً بفضل الفضلاء و تشجيعاً على الاقتداء بأعمال المصلحين و إقراراً بحق العالمين العاملين، و في مقدمة أولئك الصحاء المصلحين الذين تألفت في سماء الجهاد نجومهم و ارتفعت في الهيئة الاجتماعية أسهمهم و نشطت في ميادين الحياة أفكارهم و أبقت للأجيال القادمة أثراً طيباً ألسنتهم و أقلامهم، (الشيخ سليمان الأحمد) الذي تنخفض همة قولي دون أيسر وصفه، و أقل ما أقول فيه إنه الحائز قصب السبق في النشاط الفكري علماً و أدباً، و العامل لرفع مستوى الشعب الشعوذة و الخرافات، و من مراسلاته مع المجتهد العظيم الشيخ (محمد حسين آل كاشف الغطاء) و من تعليقاته على الكثير من شروح الدواوين الشعرية لكبار الشراح يستدل على علمه بأصول الكلم و غوصه على درر المعاني و حسبه بينة على سمو مكانته العلمية أن كان عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق، و مجازاً من النجف الأشرف بلقب (مجتهد) و أقيم له في حياته (يوبيل ذهبي) تكريماً له و تقديراً لعلمه و أدبه.

و الشيخ (يعقوب الحسن) المتصف بالصفات الحسنى و الأخلاق الكريمة المثلى ذلك الذي جمع بين العلم و الأدب و له في كليهما تأليف قيمة غنية بدرر ألفاظها و جواهر معانيها.

و الشيخ (صالح ناصر الحكيم) الذي أجمع الشعب على قداسته و ألقى إليه مقاليد أحكامه الفقهية و قل أن يوجد أديب علوي معاصر له لم يمدحه تيمناً بتقواه و تبركاً بدعاه، و كثير غير هؤلاء من رجال الفكر و الأدب و حملة لواء العلم قاموا بأداء رسالات الإصلاح في الشعب خير قيام، فمنهم من استأثر به الله فأحله دار رضوانه، و منهم من لا يزال يواصل جهوده منتظراً رحمة ربه، (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً).

و احسبني لا يعوزني البحث في حاضر العلويين و لا التدليل عليهم و فيهم من العلماء و الأدباء و الأطباء و المحامين و السياسيين و المفكرين و المصلحين من يضيق بنا المقام عن ذكرهم، و لهم من سبقهم في ميدان النشاط الفكري و مضمار التقدم الاجتماعي ما يغني عن تعريفهم، و حسبهم مآثرة تدل عليهم سيرهم بركب الحركة الوطنية فقد صحبها بشتى مراحلها و رافقوها في جميع أدوارها و كانوا و ما زالوا من أشد أركانها، يعملون مع إخوانهم مخلصي الأمة و قادة

نهضتها و بصائر نفاذة لنيل الشعب حريته الغالية و سيادته المنشودة

و لأيهم من أعمالهم أصداء تتناقلها أمواج الأثير لتسجلها في بطون التاريخ و تذيبها الأجيال على مسمع الكون نغماتاً يطرب لها المجتمع و تهتز لها المشاعر إلى أن تتمثلها صورة ناطقة (لمثل هذا فليعمل العاملون).

لقد عملوا لإنقاذ الشعب من الغرق في أمواج الجهل المتقاذفة به على صخور التباغض الأثيم إذ حملوه في سفينة العلم و ألقوا به إلى شاطئ السلام على ألواح التحابب فتفتحت عيناه لأنوار الحياة الحرة، و أعناق المجتمع إليه مشرابة و أبصاره إليه شاخصة، و ما إن انتظم في سلكه النضيد بعد طول انفراطه منه حتى أصبح عضواً فعالاً من أعضائه البارزة السلمية، يعمل في حقل دنيا العرب بقوة و إخلاص و عزم و تضحية عمل أي عضو قوي صحيح.

خاتمة

هذا ما وصل إلى تحصيله فهمي و استطاع جمعه و إثباته قلبي من شتات أثار و مآثر العلويين في الأجيال الغابرة ديناً و أدباً و اجتماعاً مع إيماءة خاطفة إلى حوادث مرت بهم في مراحل حياتهم الماضية أودت بمكانتهم الاجتماعية طوال قرون عديدة و عفت على علومهم و آدابهم إلا قليلاً تمرد على العفاء و خلد رغم الكوارث و الحوادث و قد أثبت شيئاً منه و أشرت إشارة خفيفة إلى نهضتهم الحديثة و انتظامهم في سلك المجتمع مشيداً بفضل قادة نهضتهم و باعثي روح اليقظة فيهم أتياً على ذكر أسماء بعضهم معتذراً بضيق المقام عن ذكر الباقيين لا هضمناً لحقهم و لا غمطاً لفضلهم.

و إنني لأرجو أن تكون عجالتني هذه جاءت موفية بالعرض المطلوب و محققة الأمل المنشود و إلا فحسبها أنها لم تكن جرياً وراء عاطفة و لا اندفاعاً في تيار مصلحة بل بريئة من الأغراض الزائفة مترفعة عن الأغراض الزائلة رائدها الانتصار للحق و غايتها إظهار الحقيقة.

و إنني لأستميح القراء الكرام العذر عن بساطتها و ضعف تنسيقها و ركاكة أسلوبها و عطلها من حلي لآلئ الألفاظ و عجزها عن الغوص على درر المعاني- و لو لم يتطلب موضوعها ذلك- و أعترف بقصر باعني عن إيفاء موضوعها التاريخي حقه من استقصاء الحوادث و تمحيص

الحقائق و جمع شواردة الأخبارة الآثار لقللة ما في يدي من مصادر و ضيق اطلاعي على مطولات الكتب و عيي عن معرفة أصول التأليف و الكريم من عذر.

و لي كبير الأمل أن لا تلقى إلا منصفاً كبير النفس حر التفكير يرشد بنزاهة و تحرر إلى مواضع النقص فيها للتدارك ملقياً ستائر صفحة على نوافذ ضعفها، أو يحكم عليها بتجرد و تطهر بعد تزوٍ و إمعان، و(حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت و هو رب العرش العظيم).

مصادر الكتاب

1-القرآن الكريم.

2-نهج البلاغة، للإمام أمير المؤمنين علي(عليه السلام)

3-أسرار التأويل في معرفة التنزيل، للقاضي ناصر الدين البيضاوي.

4-شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد .

5-يتيمية الدهر، للثعالبي.

6-تحف العقول عن آل الرسول، لابن شعبة الحراني.

7-المراجعات، للسيد عبد الحسين شرف الدين.

8-الفصول المهمة في تأليف الأمة، للسيد عبد الحسين شرف الدين.

9- أصل الشيعة و أصولها، للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

10- أبو فراس الحمداني، للسيد محسن الأمين.

11- شرح الشفاء، لشهاب الدين الخفاجي.

12- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، للأستاذ جورج جرداق.

13- البداية و النهاية، لأبي الفداء.

14- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، للشيخ ناصيف اليازجي.

15- التاريخ الحديث، لعزة النص، جورج حداد، بسام كرد علي.

16- العلويون من هم و أين هم، للأستاذ منير الشريف.

17- أقرأ: ابن سينا، للأستاذ عباس محمود العقاد.

18- أقرأ: سيدة القصور، لعلي الجارم بك.

19- تاريخ الدولة العربية، لأنور الرفاعي و سعد الدين قواص.

20- الأعلام، لخير الدين الزركلي.